قلوب عبير

605
٦٠٥

www.elromancia.com

مرمورية

زوجة الاحلام

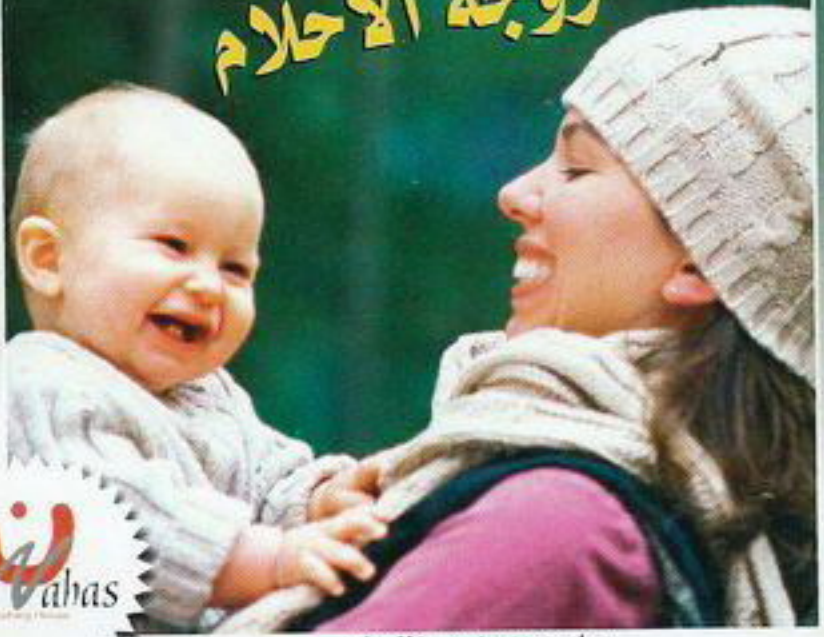

Nahas
صادر عن دار م. النحاس

زوجة الاحلام

عاشت كاسي حياة قاسية بعد وفاة زوجها، مما جعلها توافق على الزواج من رجل لا تعرف عنه شيئاً سوى انه سيؤمن لها ولعائلتها منزلاً يأويهم. لكن الزوج المخدوع الذي لا يعرف ما تخطط له زوجته تفاجأ من وصول اشقائها الى منزله واحداً تلو الآخر ليستقروا عنده وذلك في شهل العسل.

www.elmaktabeh.com

52-87000-34707-5

زوجة الاحلام

قد يكون الاعلان عن طلب زوجة، طريقة غريبة هذه الأيام، ولكنه افضل من العيش مع والدها وزوجة والدها، اللذين جعلا من حياتها وحياة ابنها وإخوتها حياة لا تحتمل، ومهما كان المكان الذي هي ذاهبة إليه، فهو لن يكون اسوأ من ذلك القادمة منه، حتى ولو لم تكن حياتها الجديدة مماثلة للحياة التي امضتها مع زوجها الراحل، فلا بأس... فالمرأة لا تكون محظوظة مرتين في حياتها، ودوما على كل حال، سيكون لديها بيتر ابنها من جوزيف.

الفصل الاول

استيقظت كاسي على هدير محرك الديزل، فتململت في جلستها وهي تصرف بأسنانها ألما من تشنج عضلات عنقها، كانت تظن ان السفر بالباص سيكون بمثابة مغامرة شيقة، ولكن حتى الآن لم يتحقق ما كانت ترجوه، فقد كانت عيناها ما تزالان مقرحتين من الدموع التي ذرفتها وهي تودع اهلها في غرب فيرجينيا.

كان تركها لمدينتها صعبا الى حد يثير الدهشة، وكان وداعها لاخوتها ولبيتر هو أقسى شيء قامت به في حياتها، يا للمسكين بيتر، لقد حدق فيها بعينيه الواسعتين المليئتين بالثقة، وقد تشبث بيد دودي بيده الصغيرة، بينما كان يبتسم من خلال الحزن الذي كان يسود ملامحه. كانت قد اغرورقت عيناه بالدموع ولم تشعر بالارتياح إلا بعد ان غادرتهم واستقرت في الباص، لكنها وهي تراهم واقفين جميعا يلوّحون لها بأيديهم مبتسمين بشجاعة، شعرت بغصة تصعد الى حلقها، وألم في صدرها.

اغمضت عينيها واستغرقت في افكارها، عليها ان تنجح، فليس ثمة مجال للرجوع الى الوراء، ولا شيء لتعود إليه، حيث لم يكن وجودها مرغوبا به. اما في تكساس، فستعيش والأولاد بسلام، إلا إذا...

لكن لا، عليها ان لا تفكر بهذا الشكل، لقد كان ليون بارادايس من الشهامة بحيث ارسل اليها أجرة الباص، ومن الادب بحيث استمر يكاتبها طوال تلك الاشهر، وايضاً عندما لم يلق عليها الكثير من الاسئلة عندما رفضت في البداية، ثم عادت فغيرت رأيها وقبلت دعوته للمجيء الى تكساس، ربما لن يكون في كل شيء، مماثلاً لزوجها الراحل جوزيف، ولكن ليس من المفروض ان يكون مماثلاً لوالدها، كذلك.

قد يكون الاعلان عن طلب زوجة، طريقة غريبة هذه الأيام، ولكنه افضل من العيش مع والدها وزوجة والدها، اللذين جعلا من حياتها وحياة ابنها وأخوتها حياة لا تحتمل، ومهما كان المكان الذي هي ذاهبة إليه، فهو لن يكون اسوأ من ذلك القادمة منه، حتى ولو لم تكن حياتها الجديدة مماثلة للحياة التي امضتها مع زوجها الراحل، فلا بأس... فالمرأة لا تكون محظوظة مرتين في حياتها، ودوماً على كل حال، سيكون لديها بيتر ابنها من جوزيف.

لكنها اصبحت وحدها الآن، وقد لا يرغب ليون بارادايس بالزواج منها بعد ان تخبره بكل شيء، خصوصاً عندما تخبره عن ابنها وأخوتها، عندما تخبره عن الاولاد؟ ولكنه قد لا ينتظر الى هذا الحد لكي يرفضها.

كان قد ذكر بإحدى رسائله: انني لست شاعراً بالوحدة،

اعترف بأن ثمة اوقات اشعر فيها بالوحشة والكآبة حيث انني اعيش بمفردي هنا وسط عشرين ألف فدان، لكنني لا اريد ان اغير نمط حياتي هذا، فأنا شغوف بهذا المكان، وكذلك بتربية المواشي، البعض ينظر حولي هنا فلا يرى سوى صحراء تحفها الجبال الصخرية، لكنني اشعر بالحرية وبأنني سيد نفسي كما كان رعاة البقر في الماضي، كلا انني لست رجلاً وحيداً، ولكنني اريد زوجة، رفيقة تشاركني كل هذا، وسنرى ان كنت ستكونين انت تلك الرفيقة.

زوجة... رفيقة تشاركه كل هذا، واستدارت كاسي تنظر الى صورتها المنعكسة في زجاج النافذة، ايمكن ان تكون هي تلك المرأة؟ كان وجهها لا يعدو ان يكون عادياً لا شيء فيه يلفت النظر، فهو عريضاً في أعلاه ضيقاً في أسفله، اما عيناها فعلى شيء من الاتساع، كلا لم يكن فيها اي شيء يجعل ليون بارادايس يقبلها زوجة، خصوصاً وهي تأتيه بستة من الاولاد.

هل كان سيكتب اليها منذ البداية لو ان صديقتها دودي كانت قد ذكرت له في الرسالة عن اولئك الاولاد عندما كتبت له بالنيابة عنها وذلك رداً على اعلانه ذاك؟ كلا، انها لا تعتقد ذلك مطلقاً، فالرجل قد يقبل بزوجة لديها ولد واحد، حتى انه قد يقبل بولدين معها، ولكن ستة؟ ليس ثمة رجل عاقل يقبل زوجة مع ستة اولاد، كما ان ليس ثمة امرأة عاقلة

تتوقع منه ذلك، لكن ما هو الخيار الذي امامها؟ لقد اوضح لها والدها شينتز وزوجته مارلين بصراحة انهما يريدان منها ومن الاولاد ان يغادروا المنزل قبل قدوم الطفل الجديد، فأخذت تبحث عن عمل آملة بأن تجد ما يمكن ان يساعدها على اعالتهم، هم السبعة، ولكن تلال غرب فيرجينيا لم تكن تحفل بالكثير من فرص العمل، خصوصا ما يجعل ارملة لا تملك سوى شهادة التعليم العالي قادرة على إعالة سبعة اشخاص.

تلك الشهادة لم تكن تبدو ذات اهمية عندما تزوجت من جوزيف هانتر عندما كانت في السادسة عشرة، لقد اخذها جوزيف من منزل والدها وجهز لها منزل زوجية سعيدا، ثم انجبا ابنهما بيتر، كانت تظن انها بسبيل حياة رائعة سعيدة عندما قتل جوزيف في حادث اصطدام مفجع، ثم اذا بها تكتشف ان شهادتها تلك لا تفتح الابواب إمامها، وهكذا مضت مدة طويلة لم تجد اثناءها بابا يفتح لها سوى باب ليون بارادايس، ومنذ طردها والدها هي وابنها، من منزله، لم تجد أماما إلا أن تسلك ذلك الطريق المؤدي إلى ليون، كما ان اخوتها الصغار سرعان ما سيجدون انفسهم في مثل موقفها. فإذا لم تجد لهم سبيلا للعيش فستتولاهم المؤسسات الخيرية، خصوصا الاربعة الصغار، وهذا يعني انها قد لا تراهم ابدا بعد ذلك، لقد اقنعتها دودي بأن ليون

بارادايس هو الذي سيساعدها، وان مصيرها ومصيره واحد، وانها هي دودي، قد احست بذلك منذ اللحظة التي قرأت فيها اعلانه ذاك في صحيفة وجدتها ملقاة على مقعد خشبي في محطة الباص، وعندما حدثتها رسائله على مدى شهور عن شخصية راعي بقر مكافح ذي اخلاق عالية، صارحتها دودي بأنها مجنونة إذا هي لم تذهب لانتهاز هذه الفرصة التي يقدمها إليها. لكنها نصحتها بأنه من الافضل عدم ذكر الاولاد، حيث قالت:«انظري اولا، ماذا سيحصل بينكما.»

في البداية حين لم يكن في نية كاسي ان تكون عروسا لأي غريب، لم يكن يبدو في ذلك أي خداع، اما الآن فقد بدا لها الامر ليس خداعا فقط، بل اقرب الى ان يكون جريمة، لكنها لم تستطع ان تجد وسيلة للتراجع، كل ما استطاعت ان تقوم به هو ان تتابع توجهها الى الامام آملة بأن تعجب ليون بارادايس الى حد يجعله يتجاوز عن مسألة بسيطة مثل تربية ستة اولاد، او خمسة في الواقع. ذلك ان اخاها نيوت يعتبر راشدا حيث انه في التاسعة عشرة من عمره، كذلك ابنها بيتر لا يمكن ان يزعج احدا، فهو طفل في الرابعة بالغ الهدوء والخجل، لكن فريدي لم يكن صبيا خجولا، ولكن روح النكتة عنده كانت حلوة تماما بالنسبة الى صبي في السابعة ما يجعله بالغ الظرف، اما بارت وهو في العاشرة فقد

www.elromancia.com

كان يعتبر نفسه فوق هذا التهريج السخيف، كما كان يدعوه، لكنهما هما الاثنين، كانا عدا عن كونهما اخوين، صديقين حميمين، وقبل ان يستعمل بارت نظارات، كان اخوه فريدي يقوده بيده في الانحاء وأثناء اللعب، اما التوأمان، كيلر وكول، فمع كل مشاغباتهما إلا انهما لم يعيرا بارت بقصر نظره، لكنهما وهما في الرابعة عشرة، كانا يساعدانها حقا، انهما بحاجة الى إرشاد وليس الى العنف والقسوة اللتين كان والداهما يقابل بهما لهوهما، وقد كانت دودي متأكدة من ان ليون بارادايس سيكون ذلك المرشد، وذلك عندما يتم التفاهم بينه وبين كاسي، لكنه الان في ظلمة الليلة هذه في فان هورن في تكساس، بينما لحظة الاجتماع تقترب بسرعة، أخذت تتساءل عما إذا كانت على خطأ في كل ما اقدمت عليه.

ان الامر لن ينجح، لا يمكن هذا، فهو سيلقي عليها نظرة واحدة ثم يعيدها في أول باص الى شرق البلاد. او ربما يتحدث إليها بكياسة ورقة دون ان يعني شيئا من وراء ذلك، وذلك كما اعتاد والدها تشينتز ان يفعل، حتى انه قد يبدو بخيلا شحيحا عندما يعلم بأمر الاولاد، وقد لا يكون بإمكانها ان تستمر لإنجاز هذا الامر حتى ولو كان ذلك الشاب المناسب، كلما قلبت الامور في ذهنها، كانت تصطدم دوما بنفس الجدار، فهو فرصتها الوحيدة، كما

انه الفرصة الوحيدة للأولاد، كانت تعلم في اعماق نفسها ان عليها بذلك غاية جهدها، ثمة أمر واحد مؤكد، وهو انه مهما كان نوع ليون بارادايس بين الرجال، إذا ما اقتنع بالزواج منها فهي ستكون له افضل زوجة، وهذا كل ما بإمكانها القيام به، ليس فقط بدافع احترامها لنفسها بل ايضا لأي رجل، قد يقدم بيتا لها وللأولاد، لأنه يستحق مثل ذلك.

اخرجت من حقيبتها رسائل ليون وأخذت تتسلى بإعادة قراءتها، لقد نجحت تلك الرسائل في تهدئة مخاوفها، ليس ثمة رجل يكتب بكل تلك العفوية، قد يكون عديم الإحساس، وليس ثمة رجل يظهر ذلك القدر من السرور والزهو بعمله، قد يكون رجلا ضعيفا، فالرجل الضعيف لا يمكن ان يتمكن من الوصول الى امرأة تبعد عنه مسافة نصف القارة. ربما لا بأس في البداية اذا ما هي اعجبته، فهذا ما يجب ان يحدث أولا، ثم إذا بدا ان ثمة املا باتفاقهما مع بعضها البعض، فبإمكانها ان تخبره عن الاولاد. وإذ صممت على ذلك، اعادت الرسائل الى مكانها، ثم أراحت رأسها الى الخلف بغية الراحة.

* * *

ابتدات رحلتها في الظلام وستنتهيها بنفس الشكل، كما كانت تحاول أن ترى شيئا من هذه الارض التي كان ليون بارادايس قد كتب لها عنها وعن شغفه بها. اخذت تحدق من خلال النافذة حيث الظلام يحجب

الجبال البعيدة القائمة في كل ناحية من الصحراء، لم يكن المنظر يشابه ايا من تصوراتها، كان بالغ الغموض والليل من الحلكة بحيث بالكاد رؤية الأفق، اما عدد تلك النجوم فلم تكن تصدق ان السماء يمكن ان تحويها كلها.

سرعان ما تقاربت الجبال حول شريط الطريق الرئيسي العريض عندها ركزت افكارها على الاجتماع القادم. اخذ قلبها يخفق قبل دخول الباص الى الطريق الرئيسي بمدة طويلة، ليستدير بعد ذلك داخلا الى المدينة الهادئة ما جعل خيبة الأمل تتملكها لذلك، وإذ بالباص يتوقف فجأة بجانب مطعم داكن اللون حيث كان هناك مقعد خشبي طويل غير مدهون بموازاة الجدار. فتح باب الباص فإزدادت خفقات قلب كاسي. نزل السائق اولا فأنزل امتعتها والتي كانت عبارة عن حقيبة ملابس وصندوق كرتون مربوط بحبل رفيع، وبجهد كبير نهضت كاسي ثم سارت الى حيث توقفت عند الباب، تنفست بعمق ثم نزلت من الباص الى الشارع المظلم، كان كل شيء هادئا يسوده السكون ما عدا هدير الباص ونباح كلب بعيد. قال السائق وهو ينظر حوله:«لا ارى احدا هنا في استقبالك.»

قالت بلهجة متوترة:«انه يعرف بأنني قادمة.»

تابع السائق يقول:«انه اذن سرعان ما يكون هنا، فأنت بأمان الآن.»

اذ بدا عليها التشكك قهقهه ضاحكاً:«صدقيني لا يوجد باب مقفل في هذه المدينة، نصف سياراتها مفتوحة والمفاتيح بداخلها، ليس هنا من يؤذيك، طبعا ما عدا الافاعي.»

الافاعي؟ اخذت كاسي تنظر حولها بخوف. فعاد السائق يضحك قائلا وهو يشير بذراعيه الى بعيد:«الافاعي هناك وليس هنا، إلزمي مكانك ولا تتجولي في الانحاء، ستكونين آمنة منها، وداعا الآن.»

عندما صعد الى مقعده قاومت نفسها كيلا تصعد عائدة ادراجها، ووقفت تنظر الى الباص وهو يبتعد ليبتلعه الظلام. عندما تلاشى صوت المحرك، وساد السكون، اخذت تنظر حولها، كان بقربها عمود عليه مصباح واحد يلقي هالة شاحبة من النور حوله على الارض، كانت المنطقة حولها عزلاء إلا من عدة مبان ضخمة بعيدة، كان ثمة لافتة مضيئة فوق مطعم صغير الشكل يسوده السكون هو ايضا.

من بعيد، بدا نور سيارة اجتازت الشارع ثم اختفت، ووقفت كاسي وسط هذا السكون والصمت الذي يلف حولها. لم تشعر من قبل بوحدة ووحشة كما تشعر الآن. اغمضت عينيها للحظة، ثم جلست على المقعد الخشبي وأخرجت رسائله مرة اخرى، كانت تلك الرسائل كل ما لديها من امل... كل ما لديها لتتمسك به.

في الوقت الذي وصل فيه ليون الى فان هورن، كانت

الشمس قد ارسلت نورها على المكان، وكان يتمتم بعصبية مستعملا لذلك اسوأ الكلمات الاسبانية مستغلا عدم وجود والدته بجانبه. كان والداه ماي وجيرالد بارادايس قد عاشا في مزرعة بريسيديو للدواجن حيث ربيا اولادهما الثلاثة، وهكذا امضى الصبية الثلاثة الصغار طفولتهم المرحة في الانحاء حول البيت الكبير في مزرعة فارغان.

تمنى ليون الآن ان يكون هناك من يصفعه، كيف بلغ به الغباء الى حد نسيان إحضار الهاتف معه؟ فقد اعتاد ان يأخذه الى كل مكان يذهب إليه، لكنه الليلة الماضية، ومن بين كل الليالي، خرج من منزله تاركا إياه على الاريكة حيث كان وضعه بعد ان اصلحه، ليتفاجأ بشاحنته معطلة، ولم يكن بمقدوره الاتصال بأحد اصدقائه كي يذهب لملاقاتها، انه لن يدهش إذا وجد انها قد استقلت باصا آخر عائدة من حيث أتت عندما لم تجد احدا في استقبالها، كاد يتمنى ان تكون فعلت ذلك، وفي الحقيقة، لم يشعر ليون في حياته بمثل ما يشعر به من حيرة الآن تجاه أي شيء في حياته.

كان يريد زوجة، ولم يكن هو الشاب الوحيد في هذه المنطقة الذي يتخذ هذه الخطوة للعثور على واحدة، لكنه من ناحية اخرى كان يشعر بأنها الطريقة الاوفر حظا له، لماذا... نعم لماذا ارسل إليها لكي تأتي؟ لماذا لم يعرفها اكثر قبل ذلك؟ فيتصل هاتفيا

الى مكان عملها، او ما أشبه؟ احمق احمق، احمق. ثم شاحنته التي تعطلت في الطريق ونسيانه الراديو في المنزل في نفس الوقت... كل ذلك ربما هو نذير شؤم، لكنه حصل الآن وانتهى الامر، انفق نقوده التي يتعب في جمعها هباء او على الاغلب لجلب الصداع له، لماذا فعل كل هذا؟

سأل نفسه هذا بصمت، ثم نطق بالجواب بصوت عال بكلمات اسبانية منتقاة، ولكنه في اعماقه، كان يعلم السبب، انه ذلك الرسم التخطيطي الذي وصل إليه، كانت رسائلها إليه غير شخصية وذلك بشكل غريب، كان دوما يشعر وهو يقرأها بشيء من خيبة الأمل، لكنها كما يبدو، كانت دوما توحي إليه بشيء مهم عليه ان يقوله، شيء عليه ان يضعه على الورق بسرعة، وهكذا وجد نفسه يجيب على رسائلها على الفور، ثم جاءه ذلك الرسم التخطيطي مرسوما بقلم رصاص على مغلف، لكن إرساله بالبريد افسده نوعا ما، فخفف من خطوطه العريضة على الورق، ما جعل التخطيط اقرب الى ان يكون صورة فوتوغرافية، لقد خفق قلبه عند اول نظرة ألقاها على ذلك الوجه، كانت الملامح غاية في البراءة.

كان التوقيع في زاوية الرسم نيوت، لكن الرسالة المرفقة بالرسم اوضحت انه أخوها وان ليس ثمة كاميرا يمكنها ان تظهر صورة أكثر شبها من هذا الرسم.

تملك ليون فضول كبير جعله يكتب الى دودي بأن

ترسل إليه اوصافها، وما تلقاه كان كافياً ليقتنع بها.
ثم تلقى منها تلك الرسالة التي كشفت له فيها شيئاً عن زوجها الراحل، أعجبته صراحتها ما جعله يرسل إليها أجرة السفر بعد ان أوضحت له اهتمامها بالحضور الى تكساس. لكنه يدرك الآن انه سيصاب بخيبة أمل، إذ لا يمكن لكاسي ان تتناسب والصورة التي في خياله عنها. قد يكون من الأسهل لهما معا ان تتخلى هي عن هذا الأمر وتعود ادراجها الى بلدها في غرب فيرجينيا، ثم ما الذي ستفعله فتاة من جبال فيرجينيا في هذه الصحراء المحرقة المتربة على كل حال؟ ربما ستقبل عدم الذهاب الى المدينة اكثر من مرة او اثنتين في الشهر ولكن الواحد والاربعين ميلا التي تفصل بين المزرعة ومدينة فان هورن هي كافية لتجعلها تغيّر رأيها، ألم تخبره والدته انه لا يوجد راعي بقر بعقله الكامل ليقبل بأن يعيش في مكان مثل مزرعة بارادايس هذه؟

اوقف ليون سيارته امام محطة البنزين، ورفع قبعته ثم تخلل شعره المموج بأصابعه، وما لبث ان ترجل من شاحنته معيداً قبعته على رأسه، ثم سار في الشارع متجها نحو موقف الباص دون ان يفكر في شاحنته، ذلك ان صاحب المحطة سرعان ما يفتح المحطة الآن، وإذا كان يعرف شاحنة ليون فسيملأها بالوقود، ثم يفحص المحرك، مستعملا مفتاح الاشعال الذي تركه ليون له، ثم يبعد الشاحنة

الى جانب الطريق بانتظار عودة صاحبها، لكن بما ان الشهر لم ينته بعد، فهو لن يعطيه نقودا، لم يكن ليون هو الوحيد الذي يعامله صاحب المحطة بهذا الشكل، لكنه احد القلائل، فهو معروف بكونه عاملا مجدا ونزيها وسريعا في رد ديونه.

عبر ليون الشارع ملوحا بذراعيه، وحذائه يقرع ارض الرصيف بخطوات واسعة مجتازا واجهة المطعم، ورأى من النور في الداخل ان صوفي قد ابتدأت عملها اليومي، وفكر بكوب من القهوة الساخنة مع افطار دسم، لكنه قبل ان يفكر في الاستسلام الى هذا الأمر، كان قد انعطف حول الزاوية الى حيث وقف جامدا في مكانه.

كانت مستلقية على مقعد خشبي مستطيل متوسدة ذراعها، ترتجف من البرد وفي الوقت نفسه مستغرقة في سبات عميق.

خطر له ان يستدير عائداً من حيث أتى، فهي لا بد ستثور غضبا عندما تستيقظ، شاعرة بكرامتها المجروحة، وهو لن يلومها، حتى انه اعد نفسه لتلقي هجوم هستيري عنيف كان واثقا من حدوثه، لكنه لم يكن جبانا، كما ان الفضول كان يتملكه لكي يرى وجهها، فذلك الرسم التخطيطي لها ما زال في ذهنه. في الواقع، كان يريد ان يتخلص من صورتها البريئة المرتسمة في ذهنه. تنفس بعمق، تقدم الى الأمام ومضى ينظر إليها، كان جانب وجهها يظهرها طفلة

www.elromancia.com

بريئة، هذا ما كانت قالته دودي في رسالتها، وكانت على صواب، نظر الى يديها الصغيرتين، لا شك ان هذه هي كاسي، دفع قبعته الى الخلف وعاد ينظر إليها مطولا.

لكنه ما لبث ان حدّث نفسه بأن عليه التوقف عن هذا التفكير الى ان يعرف الفتاة جيدا، وإلا قد يجد نفسه في النهاية وبعد الزواج منها، ان لا شيء يعجبه فيها، ومن ناحية اخرى، قد لا يعجبها هو ولا هذا المكان. عليه ان يوقظها سواء عاجلا ام آجلا، فتنحنح.

قالت بعد لحظة وهي تجاهد للجلوس:«آه، انا آسفة، اظن النعاس غلبني و...»

انها آسفة... وهو الذي تأخر عنها ساعات وساعات، لكنها هي الآسفة، فحوّل نظراته بعيدا شاعرا بالذنب، وبدا في عينيها القلق، لكنه اسرع ليبدد ذلك قائلا:«عليّ انا تقديم الاعتذار، لقد تعطلت سيارتي في وسط الطريق، والهاتف كنت قد نسيته في البيت.»

«آه، فهمت، حسنا، لقد حصل امر طارىء، أليس كذلك؟»

ابتسمت له، وكانت اسنانها بيضاء مستقيمة ما عدا واحدا منها في الفك الأسفل كان مائلا قليلا.

ادرك فجأة انه كان يحملق فيها، ورفع يده يحك عنقه من الخلف لكي يجد عذرا في تحويل نظراته، ثم تمتم يقول:«وأنت، انت لا بد انك تشعرين بتعب بالغ.»

اومأت وهي تنظر الى يديها بارتباك:«اظن ذلك، لم

اتوقع وأنا جالسة هنا، ان يغلبني النعاس، كان الامر وكأنه...» ثم هزت كتفيها وأضافت:«حسنا... المكان مقفر كما ترى... لا احد هنا.»

«اسمعي، انني شديد الأسف، لم يكن باليد حيلة، فقد تعطلت الشاحنة في منتصف الطريق بين البيت والمدينة هذه، وكنت قد نسيت الهاتف في البيت.»

فقالت ضاحكة:«وهكذا استسلمت للأمر وبدأت بإصلاح الشاحنة.»

بسط يديه قائلا:«لم يكن أمامي سوى هذا.»

اتسعت ابتسامتها:«لو كان والدي في مكانك او نيوت او أي شخص اعرفه ما عدا...» بهتت ابتسامتها فجأة لكنها اسرعت بالقول:«حسنا، كنا جميعا ما زلنا نسير على الاقدام.»

فهم ما تعنيه، وقال شاعرا بالزهو:«آه، نعم... اظنني بارعا في استعمال الادوات.»

ضحكت، وشعر بنفسه ماهرا اكثر من المعتاد، فتابع قائلا:«لم اكن استطيع ان اصل قبل الآن، ولكن كان بإمكاني ان استدعي شخصا ليأتي لاستقبالك بدلا من ان تبقي هنا بمفردك.»

اومأت برأسها قائلة:«لا بأس، لا اظنني خفت كما كنت اخشى، ويبدو انني غفوت على الفور.» اخذت تدعك ذراعيها فأدرك انها تشعر بالبرد رغم بزوغ الشمس.

قال:«فلنذهب ونتناول الافطار.»

قالت باسمة:«هذا عظيم.»
لكنها ما لبثت ان تعثرت وهي تنهض وأوشكت على السقوط على المقعد لو لم يسندها بيديه، لكنه سرعان ما تركها وقد انتابه شعور غريب. لم يعرف هل كان اجفالها لامساكه لها بهذه القوة، ام لأنه خشي عليها من السقوط. ازدرد ريقه ثم سألها:«هل انت بخير الآن؟»
«نعم، شكرا.»
جذب قبعته الى الامام، قائلاً:«هيا بنا، إذن.»
سارت معه وإذا بها تلتفت الى الخلف فجأة لتقول:«امتعتي.»
التفت بدوره لتقع نظراته لأول مرة على صندوق الكرتون وحقيبة الثياب اللذين كانا تحت المقعد، عجب لقلة الامتعة التي احضرتها معها، اتراها لا تنوي البقاء طويلا؟ قطب جبينه محاولا ان يتخلص من هذه الافكار وهو يقول لها:«لا بأس على امتعتك حاليا، فلن يأخذها احد وسأنقلها الى الشاحنة فيما بعد.»
تقبلت كلامه هذا دون اعتراض، ثم تابعت السير بجانبه الى باب المطعم القائم عند المنعطف.»
كان اول زبائن النهار، وكان عليه ان يطرق الباب لكي ينبّه صوفي الى فتح الباب لهما، التي جاءت من المطبخ مسرعة، وهي تحييه:«ليون.» نظرت الى مرافقته وهي تتابع بلكنة اسبانية:«من هذه التي معك؟» ودون ان تنتظر الجواب، مدت يدها الى كاسي

تصافحها:«انني صوفي، يسرني التعرف اليك.»
وضعت كاسي يدها الصغيرة في يد المرأة وهي تقول:«وأنا كاسي هانتر، من غرب فيرجينيا.»
نظرت صوفي الى ليون بدهشة:«آه، ان لديها لكنة في اللغة.»
ضحك ليون وقال:«أليس كل شخص كذلك بالنسبة اليك؟»
قالت:«ولكن ليس لديك انت.»
قال وهو ما يزال يضحك:«أليس هذا ما اعتدت انت قوله؟»
تركت يد كاسي ووضعت يديها على خصرها قائلة:«كان هذا قبل ان تصبح لغتي الانكليزية جيدة.»
نظر ليون الى كاسي وهو يقول متهكماً:«اسمعي، انها تقول ان ذلك كان قبل ان تصبح لغتها الانكليزية جيدة.»
رفعت صوفي يديها، فتصنّع هو الخوف مبعداً رأسه ضاحكا، استدارت صوفي مبتعدة رافعة رأسها بكبرياء وهي تقول له:«لأجل كلامك هذا، عليك ان تسكب القهوة بنفسك.»
صاح بها من خلفها:«ماذا؟ الا تريدين ان تريقي القهوة على ثيابي مرة اخرى؟»
رفعت صوفي رأسها بكبرياء، ثم دخلت المطبخ بينما اخذ ليون يضحك وهو يقود كاسي الى مائدة في

www.elromancia.com

الزاوية حيث جلسا بعد ان علق قبعته على المشجب.
سألته كاسي:«هل فعلت ذلك حقاً؟»
«اتقصدين سكب القهوة عليّ؟ نعم، وكان الذنب في ذلك ذنبي، فقد كانت تقف قربي وفي يدها ابريق القهوة بينما كنت انا امسك لها الفنجان، وأثناء ذلك كنت اتحدث الى صديق معي، إذا بي أنسى ما كنت افعل، فوضعت الفنجان على المائدة في نفس اللحظة التي ابتدأت هي فيها بسكب القهوة.»
رفعت كاسي يدها الى فمها وهي تهتف بعطف:«آه، كلا...»
اجاب ضاحكاً:«لم يكن الامر سيئاً في الواقع، لأنني ما ان نهضت حتى قذفني الصديق الذي كان معي بكوب ماء بارد.»
رأت الكذب في عينيه فأخذت تضحك قائلة:«آه، كلا، انك تؤلف هذه القصة.»
ضحك:«لقد قذفني بالماء، وقد شعرت بالبرد الشديد، ولكن تصوريني وأنا اسير بثياب مبللة.»
«وهكذا لم تدع صوفي المسكينة تنسى هذا.»
فهز رأسه ضاحكا:«هل اسكب لك فنجاناً؟ اعدك بأن لا اريقه عليك.»
قلبت شفتيها وهي تحول نظراتها عنه:«انني، في الحقيقة لا اشربها مطلقا.»
سألها:«هل تريدين إذن شيئاً آخر؟»
نظرت إليه بخجل:«زجاجة عصير.»

ضحك قائلاً:«بكل تأكيد، حسناً.» ثم نطق بإسم نوع من العصير المنعش.
اومأت وهي تهمس:«هذا حسن، شكراً.»
«ان صوفي تقدم افطاراً دسماً تماماً، عجة، لحم....»
«هذا حسن، ولكنني لا استطيع ان آكل كل هذا.»
«اتريدين العجة فقط؟ ام ربما تريدين شيئاً آخر؟»
كان اهتمامه البالغ يخجلها. ولم يكن هو يريد ذلك، فتابع قائلاً:«سأحضر قائمة الطعام.»
قالت وهي تبتسم بخجل:«العجة مناسبة تماماً.»
اومأ بصمت، ثم اتجه نحو المطبخ وقد استولت على افكاره، يا لها من امرأة. كان على وشك القيام بعمل احمق نحوها، لقد جاءت الى هذا البلد للتعرف عليه والبحث معه في امكانية الزواج، فهو لا يريد ان يخيفها بسلوكه، او يترك لديها انطباعا سيئا عنه.
عليه ان يهدىء من عصبيته قبل ان يفسد كل شيء، لكن، كيف سيتمكن من معرفة هذه المرأة إذا هو لم يأخذها الى مزرعته بارادايس؟ ولماذا لم يفكر في ذلك من قبل؟
اسرع ليغسل يديه ويعطي أوامره لصوفي، ان لديه مشكلة وعليه ان يجد لها حلا بسرعة.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

تناولت كاسي بالشوكة قطعة من العجة المكونة من البيض والجبن والبصل والفلفل الاخضر وهي تبتسم لليون بارادايس، ثم اخذت تمضغها. فجأة اشتعل فمها وامتد الحريق الى حلقها. ثم اخذت تسعل بأكثر ما تستطيعه من الحذر. وامتلأت عيناها دموعا بينما فمها مملوء بالطعام.

تجمدت يد ليون قبل ان تصل الى فمه، ونظر إليها باهتمام:«ماذا حدث؟»

اومأت برأسها وابتسمت بضعف ثم ابتلعت الطعام بسرعة، تمتمت والدموع تنهمر على وجنتيها:«لا شيء.»

وضع الشوكة من يده ثم دفع اليها بكوب العصير المنعش:«الطعام حار قليلا، أليس كذلك؟ كان يجب ان انبهك الى ذلك. كان عليّ ان احذر صوفي، في الواقع، من ان تسترسل في وضع الفلفل. قد لا تكونين معتادة في فرجينيا على الطعام الذي نأكله هنا في تكساس. آسف إذ لم افكر في ذلك.»

شربت العصير وهي تقول:«حار ولكنه شهي.»

«سأذهب لإحضار شيء آخر لك.» ولكنها لم تشأ ان تجعله يراها تميل الى الدلال.

يكفي سوء تأثيرها عليه لغاية الآن، مكوثها على

مقعد خشبي عمومي، ثم جلوسها هنا بثوب ترتديه منذ ثلاثة ايام، دون ان تغسل يديها ووجهها بالماء، فقد كانت آخر فرصة لها للغسل وتسوية مظهرها، في استراحة السيدات في آخر مطعم توقف الباص أمامه، كان يخيل إليها إن هذا حدث منذ وقت طويل. وإذ رأته ينهض محاولا الذهاب اوقفته بسرعة، نظر إليها مجفلا للحظة، ثم هدأ بينما كانت هي تتنحنح قائلة:«صدقني، الطعام يعجبني.»

رفع نظره إليها مندهشا. كانت له اجمل عينين رأتهما، رقيقتين صافيتين كما كانت في زاويتي عينيه تجاعيد تدل على كثرة الابتسام.

اخذت تتصوره وهو صبي صغير قد تجمع شعره فوق جبهته وإنتشر النمش فوق وجنتيه وأنفه، لا بد أنه كان صبيا ظريفا.

امسك بقرص مستدير بلون بني ثم ناولها اياه قائلا:«كلي هذا.» لم يبد لها شهيا، لكنها عندما قضمت قليلا منه، اعجبت به، فقالت:«هذا شهي. ما الذي في داخله؟»

اجاب:«دقيق، قطع لحم، وقليل من الماء، كما اظن.»

«ان مذاقه شهي جدا رغم ان ليس به مواد كثيرة.»

«هذه طريقتهم هنا... يستعملون القليل من المواد والكثير من الطرق. اظنه طعاما مكسيكيا.»

قالت وهي تعود الى العجة مبعدة منها قطع الفلفل:«يبدو وكأنه اكتفاء ذاتي تماما.»

قال:«هذه هي طريقة الحياة هنا. الاكتفاء الذاتي، وإلا فسرعان ما ستجدين نفسك وقد غمرتك المشاكل.»
اخذت كاسي تزدرد طعامها ببطء. كان ما يزال حاراً، ولكنه من دون الفلفل لم تجد له لذعاً داخل جوفها. لم تعتد من قبل أكل الفلفل مع الافطار، لكنها رأت ان بإمكانها الاعتياد على ذلك. ما لبثت ان صرفت افكارها عن العجة، عائدة الى الحديث، فسألته:«أي نوع من المشاكل؟»
اجاب:«ضربة شمس مثلاً، مجاعة، عطش، تحطم العظام، لدغ الأفاعي...»
فوضعت الشوكة من يدها وهي تقول:«انها أخطار كبيرة.»
فأومأ برأسه:«نعم. وأمثالنا الذين يعيشون في مزارع الدواجن هم بعيدون أميالاً عن أي نوع من الرعاية الطبية. فهذه مناطق نائية، ان لدينا الآن، بالطبع، اتصالات افضل. لاسلكي بموجة قصيرة وهاتف خليوي. هذا كله حسن، ولكن المرء ما زال عليه ان يعتمد على نفسه هنا، خصوصاً وهو يمتطي صهوة الخيل. السيارات هنا غير مضمونة ايضاً. وقد حدث مرة لشخص هنا ان كان يسوق شاحنته فصعد بها الى مرتفع كان يظنه صخرياً، وإذا به رملي، فانهارت شاحنته وأصيب بكسور بليغة في ساقيه وأضلعه. لقد استطاع الوصول الى الراديو حيث تمكن من القيام بالاتصال بصديق. وما لبثنا ان

تجمعنا وخرجنا للبحث عنه. لم نجد مكان الحادثة إلا بعد ست عشرة ساعة.»
مالت كاسي الى الأمام ناسية طعامها لتسأل:«وماذا حدث؟»
«وضعناه في مؤخرة الشاحنة، ثم توجهنا به الى المستشفى في الباسو...»
«الباسو؟ أين تكون...»
اجاب:«انها بعيدة عن هذا المكان مائة وخمسة عشر ميلاً.»
فتحت عينيها ذاهلة:«أليس ثمة مكان أقرب؟»
«آه، لدينا جراح، وهو ماهر تماماً، ايضاً، ولكن ليس هناك ادوية فعالة.»
اخذت تفكر... ساعتان ونصف! لكنها عادت فتذكرت انها في بلدها كانت تسير مسافة ثلاثين ميلاً على قدميها وذلك مسافة الطريق ذهاباً وإياباً الى حيث تنال اي عناية طبية. مع ذلك، اخذت تتساءل عن هذا الوضع الذي ألقت بنفسها فيه. لكن هذا لم يعد مهماً، فقد اصبحت هنا ولا يمكنها العودة.
ليس عليها سوى ان تحاول الحصول على الافضل في هذه الظروف، والافضل هو ليون بارادايس.
كان رجاؤها هو ان تكون اعجبته بقدر ما اعجبها حتى الآن. فقد بدا لها رجلاً في غاية الكفاءة. لكنه مرغم على ان يكون كذلك إذا كان ما يقوله عن المعيشة هنا صحيحاً، وهذا ما لا تشك فيه.

فليون بارادايس ليس من نوع الرجال الذين يثيرون الشكوك. شعرت لرأيها هذا فيه، برضى عميق. انها تشعر معه بالأمان، فهو ليس كفوءا فقط، بل كريما وماهرا كذلك. هو، فوق ذلك، رفيق حسن. حسب ظروفها لا يمكنها ان تطلب اكثر من هذا. يا ليته فقط يقتنع الى درجة القبول بها.... وبالغلمان. وإذ شعرت بقلبها يخفق بقوة، ابعدت عن ذهنها التفكير في الغلمان، وركزت اهتمامها على طعامها حيث اخذت تبعد من العجة قطع الفلفل بكل عناية.

بعد ذلك، ابعد ليون من امامه طبقه، وملأ فنجان قهوة آخر، ثم استند الى الخلف. شعرت بنظراته على وجهها، لكنها حولت عينيها عنه لا تريد ان تظهر ضيقها من ذلك. وعندما رشفت آخر قطرة من كوب العصير المنعش، وضع فنجان قهوته ثم مال الى الامام، قائلا برقة:«ان علينا ان نصمم على شيء ما.»

رفعت بصرها إليه:«نصمم؟»

«لا ادري ما الذي كنت تتوقعينه في مجيئك الى هنا بهذا الشكل. كما انني انا ايضا لا ادري ما الذي كنت اتوقعه. او بالأحرى ما الذي لم اكن اتوقعه. هذا هو الامر.»

رفع بصره إليها، فلم تحاول اخفاء حيرتها، لكنه اخفض نظره الى الفنجان، متابعا:«الذي اعنيه هو انني لا اريدك ان تظني انني اتوقع اكثر من ان نزداد معرفة ببعضنا البعض، و...»

تنحنح، وغير جلسته، ثم قال فجأة:«هناك صديقين يمكنك الإقامة معهما، انهما ويندل ونادين موث. وهما زوجان كبيران في السن. منذ أيام فقط كانت نادين تتحدث عن مبلغ افتقادهما لابنتهما منذ كبرت وانتقلت من هنا. وسيسرون بك كثيرا.»

غاص قلب كاسي، انها لم تعجبه. فهي ليست كما كان يأمل. لقد أصيبت بخيبة أمل. ووضعت رأسها على يدها متكئة بمرفقها على المائدة، تفكر بالأمر. بإمكانها ان تتغير، انما هي بحاجة الى فرصة تستنتج فيها ما يريد، لتصبح مقبولة منه.

رفع رأسه قائلا:«او يمكنك الإقامة في منزلي.»

هزت كتفيها دون مبالاة قائلة:«لا مانع لدي.»

«اما بالنسبة إليّ فأنا اغيب طوال اليوم في العمل. وقد تشعرين بالملل.»

قالت:«يمكنني المعاونة خارج المنزل. فأنا قوية ومعتادة على العمل الشاق. في بلدي اقوم بغسل الثياب بيدي على لوح خشب في حوض خلف المنزل، كما اننا نحتطب بأنفسنا و...»

رفع يده يسكتها:«انا... انا لا اريد منك ان تقومي بأي من هذه الاعمال. فأنت لم تأتِ الى هنا لكي تعملي. انك هنا بصفتك... ضيفة.»

قالت:«ولكن هذا غير صحيح. فأنا لم اقطع كل ذلك الطريق لكي أرى ان كنت أصلح ضيفة، بل اريد ان ارى ان كنت أصلح... شريكة.»

شعرت بنفسها تحمر خجلاً. ولكنها لم تخفض بصرها. وكذلك هو. ولكنه رفع يده يفرك عنقه، ثم قال:«ان لدي غرفتي نوم.ان كان بإمكانك ان تمكثي في إحداهما الى ان... اعني، هذا إذا...» وتلعثم وهو يتابع:«انه بيت قديم، وبحاجة الى دهان وملحقات. كنت انوي ان اقوم بذلك. فهو منزل متين البناء ويحتوي على الكهرباء وغير ذلك. ولكن لا يوجد ماء ساخن، انما بالإمكان شراء سخان وتركيبه. كنت انوي القيام بذلك ايضا. إنني ارحب بك، ولكنني انبهك فقط. لأنك قد تشعرين بالملل.» ثم ضاقت عيناه وهو يميل الى الأمام:«بالمناسبة، اظنك لا تحسنين ركوب الخيل أليس كذلك؟ إذ لو كان هذا لخرجت للنزهة.»

اجابت:«كلا، ولكنني لا اخاف من الجياد. كما انني احب جدا ان اتعلم ذلك.»

مسح وجهه بيده:«حسنا، سأتولى ذلك، إنما الآن، الافضل ان اذهب الى المزرعة وحدي. ليس لأنني لا ارغب في مرافقتك او مساعدتك، بل لأنني لا اريد ان يحدث لك شيء.»

شعرت بخيبة الأمل، ولكن ماذا بإمكانها ان تقول؟ فأجابت بإحباط:«لا بأس يا ليون، كما تشاء.»

سألها:«هل انت واثقة من انك لا تمانعين في قضاء النهار بمفردك؟»

فكرت في ابنها وأخوتها، واضطرت الى القول:«لا امانع.»

فقال برقة:«هذا ما أرجوه.» ثم عبس قائلاً وهو يمد يديه على المائدة:«اسمعي يا كاسي. انني لا ادري ما الذي سيحصل معنا، ولا انت تدرين. لا احد منا يعلم، ولكنني سأقول لك هذا. انك جميلة الوجه وأنا لا اكذب عليك.»

ابتسمت وقد تملكها الأمل والشعور بأنها محظوظة. فكرت في انه عليها ان تخبره عن ابنها وأخوتها كما تخبره بصراحة بأن ليس لديها مكان آخر او شخص تذهب إليه. لكن مازال خطر رفضه لها كبيرا. بينما كانت وعدت الأولاد بأن ترسل بطلبهم للمجيء، هم الستة جميعا. وهكذا كبحت رغبتها في الكلام.

قال ليون برقة:«لم يسبق ان خططت لجعلك تقيمين مع آل موث. حتى انهم لا يعرفون عنك شيئا. لقد فكرت ان هذا هو افضل الحلول الى ان نرى ما سيحدث بالضبط. كل ما في الامر هو... حسنا، حيث انني الآن لدي...» رفع حاجبيه وأخذ نفسا عميقا ثم تابع يقول:«انك هادئة ورقيقة للغاية، يا كاسي. وأنا لا اريد ان اقوم بأي شيء قد... يدمر حظنا.»

سرى الارتياح في كيانها. لم تشأ التفكير في شيء مطلقا. ذلك انها، ولأول مرة منذ سنوات تعرف الأمل الحقيقي. في تلك اللحظة ادركت انها لن تخبر ليون أي شيء قد يدمر حظهما كما قال.

فقالت:«هل يمكننا الذهاب الآن؟»

www.elromancia.com

ارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يقول:«سنذهب حالما ادفع الحساب.»

* * *

كانت اروع ارض رأتها قط، الجبال تحدق بها من كل جانب، ولكن من دون الغابات الكبرى والوديان العميقة التي في موطنها. فسلسلة الجبال هذه هي صخرية وعرة يفصلها عن بعضها البعض وديان رملية مسطحة واسعة تنتشر فيها مساحات تغطيها الاعشاب ونوع من النبات يدعوه ليون باسم كوكوتيلو. لم يكن هناك اشجار ولا كروم... لم يكن هناك سوى سماء وفضاء، ما يجعل الانسان يشعر بالضآلة والتواضع، لكن في الوقت نفسه يشعره بالحرية.

اثناء انطلاقهما نحو المزرعة، وضع ليون في المسجل شريطاً موسيقياً، ولم تكن موسيقى رعاة البقر لتختلف كثيراً عن موسيقى الجبال في موطنها غرب فيرجينيا. لم تكن تظن ان رعاة البقر العصريين يهتمون الى هذا الحد بالعواطف او حفلات استعراض الفروسية والنوادي. لم تكن الأغاني هنا حزينة، او تمجد جمال الطبيعة كلا ولا أغاني تعيب ظلم الناس. بل كان هناك الكثير من الأغاني التي تتحدث عن الذكريات. والأغرب من ذلك كله هو انه كان يحفظ كل تلك الاغاني عن ظهر قلب. كان له صوت لا بأس به لم يكن يشعر بالحرج مطلقاً من استعماله. كان يجيبها على سؤال توجهه إليه عن

البلاد او عن المزرعة. ثم يوجه إليها بدوره سؤالاً عن بلدها او رحلتها. لكنه كان يمضي اكثر الاوقات في الغناء مع الموسيقى بينما هي تتأمل المناظر التي تمر بها.

كان الجو دافئاً وثمة مكيف هواء في الشاحنة، فما دامت غريبة، لا يتمهل إلا عند المنعطفات، والتي لم يصادفا منها سوى اثنين بين مدينة فان هورن والمزرعة. كانت الثانية منهما تقود الى طريق ترابي، فكان الغبار يتطاير خلفهما، ولكن النوافذ بقيت مقفلة.

بعد مغادرتهما مدينة فان هورن بحوالي ساعة، استدار حول نهاية سلسلة جبال ثم اتجه نحو مجموعة غير منتظمة من المباني والأسيجة. استقامت كاسي في جلستها، بينما توقف ليون عن الغناء وقال مشيراً الى ذلك المجمع:«هذه هي بارادايس.»

سألته:«هل هي تبدأ هنا؟»

قهقه ضاحكاً ثم اومأ برأسه قائلاً:«كلا، بل هي ابتدأت عند اول سياج مررنا به.»

نظرت إليه:«إهي تبتدىء من ذلك المكان البعيد؟»

اجاب مشيراً الى يمينه وشماله:«وتبعد ايضا نفس المسافة الى الناحيتين.»

فتحت عينيها ذاهلة.

فاتكأ بمرفقه على النافذة وقال ضاحكاً:«هذا هو شعوري نحوها، انا ايضا. احيانا اسرح نظراتي في

كل هذه الانحاء، متسائلاً عما إذا كان الامر مجرد مزاح، وان ثمة شخصاً يرتدي بذلة انيقة سيأتي إلي ليقول إحزم امتعتك، يا ليون، واضرب لنفسك خيمة في المدينة. ليس مسموحا لأحد بأن يملك كل هذه الارض. ان ثمة من يملك اكثر ولكن هذه القطعة هي ملكي أنا وسأحارب للاحتفاظ بها.»

فقالت:«ما اروع ذلك. انني لم املك شيئاً في حياتي حتى كوخي الذي عشت فيه. لكن لو كنت مثلك، لكانت مشاعري نحوه كمشاعرك نحو مزرعتك.»

قال باسما:«اننا متفقان في الرأي.»

ابتسمت، فمكان كهذا لا بد ان يتسع لستة غلمان. هي واثقة من انهم سيعشقون العيش هنا، وسيتفقون في هذا مع ليون.

استمعت إليه وهو يشرح لها مشيراً الى مختلف الابنية. كان هناك اولا البوابة الكبرى، والمؤلفة من قسمين علق عليها اسم المزرعة بأحرف حديدية يبلغ الحرف الواحد منه القدم طولا. خلفها كان هناك فناء واسع فارغ للماشية وبعده فناءان اصغر حجما يحيطان بمخزن غلال كبير من المعدن ذي لون باهت الزرقة. كان ثمة حصان يقف في زاوية احد الفنائين وهو يأكل. وطاحونة هوائية تضخ الماء الى ساقية داخل أفنية الماشية. وطاحونة هواء اخرى أطول منها ذات خزان ضخم مستطيل ملحق به انبوبان يرتفعان بين قوائمه بجانب بناء صغير مربع هو

البيت. كان سطحه المائل قليلاً مصنوعاً من الخشب. انبوب السخان يدخل من خلال ناحية منه، والصحن الفضائي الذي قال ليون عنه انه لأجل الهاتف، كان يدخل من خلال الناحية الاخرى.

كان الزمن وعوامل الجو قد اتلفا دهان الجدران. اما زجاج النوافذ القليلة فكان عادياً قذراً، وقد تساقط الدهان من أطره.

كان الفناء تغطيه الرمال ولا شيء غير الرمال. بدا المنزل برغم الصحن الفضائي، وكأنه مبني في القرن الماضي، هذا بينما كان مخزن الغلال وحظائر الماشية والمطحنتان الهوائيتان والخزان، تلك كلها كانت جديدة تماما.

اوقف ليون الشاحنة بعد خمسة اقدام من واجهة الباب، ثم ترجل الى مؤخرة الشاحنة ليخرج حقيبتها والصندوق الكرتوني. ترجلت كاسي بدورها بينما اتجه ليون نحو الباب فدفعه بكتفه واختفى في الداخل. تبعته متمهلة وقد ازداد الآن شعورها بحرارة الجو وظللت عينيها بيديها من وهج الشمس وهي تنظر حولها. كانت ألواح خشبية ملقاة على الارض حول المنزل وتحت طاحونة الهواء. رأت ذلك غريبا، لكنه ليس بغرابة المنزل نفسه.

صعدت الى الظل تحت سقف واجهة المنزل وهي تشعر بالانكماش إزاء صرير حذائها الخفيف على الخشب. لقد كان كل صوت يبدو متضخماً في وسط

هذا السكون الشامل، حتى لتكاد تسمع صوت الرياح وكذلك صوت خطوات ليون داخل المنزل من الباب المفتوح. بدا لها ان لا شيء هناك افضل من الظل في الداخل.

ظهر ليون من خلال باب اسدل عليه ستار. قال لها وهو يشير الى غرفة خلفه:«لقد وضعت امتعتك هناك.» ثم وقف جانبا وهو يشير الى باب آخر في نفس الجدار، المطبخ هناك والحمام خلفه. ثم اشار الى باب اسدل عليه ستار، وتلك هي غرفتي، ولها باب على المطبخ ايضا. هذا كل شيء فاعتبري نفسك في بيتك.»

شكرته ودخلت تنظر الى الغرفة التي كانت تقف فيها. كانت مساحتها حوالي الاربعة امتار مربعة او اكثر قليلا. الجدران بيضاء قذرة تعترضها اشرطة كهربائية سوداء تنتهي في صناديق خشبية مفتوحة. كان هناك بساط بيضاوي الشكل بني اللون يغطي معظم الارض القرميدية.

اما الاريكة، والتي كان الراديو المنسى ما يزال عليها، فقد كانت برتقالية اللون خشبية القوائم والذراعين، من ذلك الطراز القديم الذي يصبح سريرا. إذا ما خفض مسنده ليصير في مستوى المقعد. اما المقعد الهزاز المنخفض فيناسب الأريكة بطرازه، إنما ليس بلونه والذي كان اخضر يغطيه لحاف قديم. كذلك رأت برميلين صغيرين فارغين قد جعلا بمثابة منضدتين

جانبيتين لتقديم القهوة عليهما، واحد بجانب الاريكة وآخر بجانب المقعد الهزاز. المصباح الوحيد في الغرفة وهو معدني مدهون باللون الأصفر فوقه مظلة معدنية، قد نصب عند أحد جانبي الاريكة. كما كان بجانبه عدة مجلات تبحث في شؤون الماشية وتربية الخيل.

اما الجدار الذي كان يفصل بين الغرفة ومدخل الباب فقد كان مغطى بالرفوف من حافة الباب الى الزاوية. كان عليها عدد من الكتب وجهاز راديو ومسجل، هذا الى مجموعة كبيرة من اشرطة التسجيل. ولم يكن في الغرفة نوافذ ما عدا تلك التي في الباب الأمامي.

كانت كاسي ألقت نظرة الى داخل غرفة ليون، وأخرى الى غرفتها هي فوجدتها تفتقران تماما الى ذوق المرأة. اخذت تتصور الجدران والأشرطة مصبوغة باللون الاصفر الباهت وتزحف فوقها نبات اللبلاب. أما الأثاث فتغطيه اغطية زرقاء قد انتشرت فوقها وسائد برتقالية موشاة بأشكال هندية. ان بإمكان نيوت ان يقوم بذلك...

تنحنح ليون واتكأ الى الجدار وقد شبك ذراعيه فوق صدره:«حسنا؟»

ابعدت افكار الزخارف عن ذهنها، والتفتت إليه بوجه باسم، قائلة:«انه ليس اصغر كثيرا من منزل والدي، وقد يكون اوسع من المنزل الذي كنت اعيش فيه مع

جوزيف. لكن بناءه اكثر متانة وصلابة من الاثنين. إنه قديم البناء، أليس كذلك؟»

«نعم، كما ان اثاثه ليس جديداً، كذلك فالشخص الذي اشتريته منه قال إنه كان شيّد في العشرينات من هذا القرن. اما تبليط الارض والمطبخ والحمام فقد أضيفت إليه فيما بعد. وضعت انا المولد الكهربائي بنفسي. انني أديره عندما اريد ان استمع الى الموسيقى او اقرأ... حسناً، ليس هناك الكثير اعمله غير هذا...» قال ذلك بشيء من الخجل.

اومأت برأسها قائلة:«هذا جميل. اتريد الحقيقة؟ انا افضل ان ارتاح باكراً... هذه الليلة على كل حال.»

قال:«آه، نعم. لا بد انك مرهقة للغاية اسمعي، ان لدي عملاً علي القيام به. وهكذا يمكنك الاستراحة فترة. يوجد طعام في القبو تحت ارض المطبخ إذا شعرت بالجوع.»

سألته برجاء:«هل هناك ازعاج إذا انا اغتسلت اولاً؟»

اعتذر منها لعدم وجود ماء ساخن في الحمام، لكنه طمأنها الى ان الماء ليس بارداً جداً. ثم ارشدها الى مكان المناشف النظيفة، قائلاً ان هناك غسالة على الشرفة الخلفية إذا ارادت ان تغسل ثيابها. فطمأنته الى ان بإمكانها ان تقوم بذلك بيديها، وأخبرها ان تعلقها على الحبل الممتد خلف المنزل، وهي ستنشف في خلال ساعة، ذلك بفضل جو الصحراء.

بينما كانت تختار من حقيبتها ملابس نظيفة، كان ليون قد استبدل ملابسه بملابس العمل.... بنطلون جينز حائل اللون، حذاءً طويلاً، قميصاً طويل الكمين، وقبعة قش. قال انه سيعود باكراً ليعد العشاء رافضاً بعناد تبرعها بأن تقوم هي بهذا العمل، قائلاً:«فيما بعد. عندما تحصلين على الراحة والاستقرار.»

ووضع قفازين جلديين في جيبه الخلفي، ثم خرج تاركاً إياها تزيل عنها غبار رحلتها الطويلة.

كان واضحاً ان الحمام قد اضيف مجدداً الى المنزل. ربما منذ خمسين عاماً. فقد كان طريقة بناء الجدران تختلف عنها في بقية جدران المنزل.

بعد ان اغتسلت، جلست على الاريكة ثم اغمضت عينيها.

بعد ذلك بساعات، كان ليون يقرع الباب وينديها باسمها:«كاسي. هل انت في الداخل؟»

جلست مجفلة:«نعم... انا... كم الساعة الآن؟»

قهقه ضاحكاً وهو يخبرها عن الوقت. كان الوقت عصراً.

اخذت تنظر الى نفسها. كان شعرها جافاً دون ان تسرحه، قالت له:«تغلب علي النوم.»

سمعته يقول ضاحكاً:«يبدو انك معتادة على ذلك.»

«ان ذلك نتيجة السفر فقط. اظنني كنت متعبة اكثر مما كنت اظن.»

«هل يمكنك ان تناوليني منشفة؟»

اخرجت واحدة من الخزانة، وناولته اياها. كان شعره مبللا وقطرات الماء تتساقط على كتفيه.

ابتسم لها قائلا:«لقد غسلت وجهي وشعري تحت طاحونة الماء، وهذه عادتي. فهي تبرد الجسم بسرعة كما ان ليس ثمة خطر من ان يتغلب النوم عليّ رغم انني كنت اوشك احياناً على النوم اثناء وقوفي تحت الدوش، وهذا ليس كذباً.»

نظر في عينيها، وفجأة اخذ قلبها يخفق وجف فمها. لم يحدث لها هذا منذ عهدها مع زوجها ايمكن ان تكون مشاعرها نحو جوزيف قد تحولت الى ليون؟

قال:«ربما لم اكن مجنونا...» وقبل ان تسأله عما يعني، تصاعد رنين الهاتف فجأة.

قال باسما:«انه الهاتف.» اتجه الى المطبخ فلحقت به. كان الهاتف مثبتاً الى الجدار فوق المنضدة فرفع السماعة:«آلو؟»

ابتسم لكاسي، ثم عاد يقول:«آلو، نعم يا والدتي؟»

رفعت كاسي حاجبيها بينما جلس هو على حافة المنضدة متابعاً حديثه:«لقد ذهبت الى المدينة. آسف اذ فاتني الرد على مخابرتك. نعم، اعلم اننا في وسط الاسبوع. كلا، لم يحدث شيء سيء.»

ثم قال وهو ينظر في عيني كاسي:«لقد تعرفت الى امرأة.» ابتسم فبدت تجاعيد زاويتي عينيه:«نعم، وأنا ايضاً اظن الوقت قد حان.»

ابتعدت كاسي محاولة ان لا تسمع. لكنها لم

تنجح في ذلك وكلامه ما زال يصل الى مسامعها.

قال ليون:«ربما، وسنرى. كلا، انك لا تعرفينها.»

فتحت باب الفرن تنظر الى داخله. كان من البرودة والنظافة بحيث تساءلت عما إذا كان لم يستعمل من قبل.

«نعم، انها في الواقع، جميلة.»

استدارت مجفلة، وتلاقت نظراتهما. شعرت بحمرة الخجل تصبغ وجنتيها، فابتسم لها، بينما تسمرت هي في مكانها عدة لحظات وهي تراه يتمتم بشيء عن اخبار ديل. ثم ادركت ان الحديث قد تحول الى مواضيع اخرى، فابتعدت بكل هدوء. جميلة... ابتسمت راضية عن نفسها وهي تشعر بسعادة لم تشعر بها منذ وقت طويل جدا.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

كان الامر من السهولة بحيث لم يكونا يتوقعانه ان يكون كذلك، كانت هي فتاة جبلية من مناطق خضراء باردة ومن قمم جبال غرب فرجينيا، والتي كانت حياتها، وبيتها وقلبها، حافلة دوما بالأسرة والاصدقاء، اما هو فكان راعي بقر من تكساس قد تعمقت جذوره في مزرعة مواشي تبلغ مساحتها عشرين الف فدان من الصحراء الجافة، وقد اعتاد تربية الماشية، ورفقة اصدقاء معينين، وكانت كاسي قد تزوجت في السادسة عشرة وترملت في التاسعة عشرة، لم تكمل دراستها العليا، اما ليون فقد حصل على شهادة كلية عليا في إدارة مزارع الماشية وتربية الحيوانات، كانت كاسي تدندن على الدوام بأغاني شعبها، تحب الموسيقى العصرية كما اعتاد چوزيف ووالدتها ان يفعلا، ولكن ليون كان رجلاً ريفياً يندفع بالغناء كلما شاء مزاجه ذلك، ويبدو ان هذا قد اصبح كثيراً منذ حضور كاسي.

كان ليون قد اعترف بأنه لم يعد ينجز من العمل القدر المعتاد، رغم انه كان يخرج من المنزل يوميا عند الفجر، وقد ملأ معدته بإفطار اصرت كاسي على اعداده له بنفسها، مزوداً بغداء صنعته له، لم يكن الطعام هو نفسه الذي اعتاده، ولكن هذا لم

يكن مهماً. استلمت منزله حيث اخذت تعيد تنظيم الاشياء بما يناسبها وتنظيم الخزائن. حتى انها وضعت قائمة بمحتويات المطبخ الغذائية وكذلك الموجودة في البراد وفي القبو، لم يكن ليهتم حتى وان لفت المكان كله بالورق وربطته بشريطة وردية، طالما يجدها هناك كلما عاد من عمله مساءً.

كان يعمل يومياً كرجل مجنون وذلك الى منتصف العصر، فيتجه الى المنزل حيث يقف تحت دوش الطاحونة الهوائية، وذلك في وسط حرارة النهار، فكانت تستقبله عند الباب حيث تناوله منشفة وقميصا نظيفا، ثم تدخل الى غرفتها حيث تغلق بابها عليها، بينما يأخذ هو في تجفيف شعره.

كان دوما يبتهج بالقمصان التي تختارها له ليرتديها، رغم انها كانت لديه منذ مدة طويلة حتى نسيها، وقد اختارت له مرة قميصا كان قد قدم له هدية منذ سنوات ولكنه لم يرتديها يوما، لم يعجبه القميص المخطط باللونين الاخضر والبرتقالي، ولحسن الحظ كان القميص صغير القياس بالنسبة إليه، فسرّه ذلك، وقد اقترح شبه مازح، بأن يلقيا بالقميص بعيداً، لكنها زجرته غاضبة لمثل هذا الإسراف، وقالت انها ستحتفظ به لشخص آخر، ثم ابتعدت عنه وهي تضم قميصه الى صدرها.

لقد كانا تناقشا في امر وضعهما حالياً، لكنهما كانا يريدان ان يتأكدا من التآلف بينهما اولا،

وإذا لم يتفقا، فلن يحصل أي ضرر... ولذلك... كلمة (لذلك) كانت تزعجه، وأيضاً كلمة (التعقل) لكنه كان سعيداً جداً لوجودها في منزله، كان هذا الامر يكاد يدمره، كان يجد صعوبة بالغة في الابتعاد عنها، فكان يسير خلفها في انحاء المنزل، في المطبخ وهي تقف امام الحوض تغسل الاطباق او تعد طعام العشاء او القهوة، وعندما يفترقان عند نهاية السهرة كل الى غرفته، كان يجلس لساعات، يتمنى لو انهما لم يفترقا، حتى انه اخذ يقوم بتصرفات تقرب بينهما، فكان يخرج قيثارته ويعزف لها، ثم عرض عليها ان يعلمها العزف، وعندما يشعل مولد الكهرباء، كان يضع اشرطة الموسيقى في المسجل ويجلس الاثنان يستمعان الى موسيقى وأغاني رعيان البقر المرحة. او يجلسان على شرفة الباب الأمامية يستمتعان بجمال الطبيعة.

كان شغوفاً على الدوام بتلك الليالي الصحراوية، والتي كانت تسعده، حيث السماء سوداء مرصعة بملايين النجوم، بينما الرمال الباهتة اللون تمتد نحو الجبال البعيدة. وذات مرة كانا يجلسان معاً ينظران الى النجوم، حدثها كيف ان الليل عندما يكون البدر مكتملاً، يصبح اشبه بالنهار، وكيف ان تساقط الثلج، في فصل الشتاء يكون له نفس الفعل، لكن سرعان ما يتلاشى كل هذا في الصباح، وكأن كل ذلك لم يكن سوى تصورات ذهنية، حدثها ايضا عن

الجلوس بجانب نار المخيم والشعور بالوحدة في هذا العالم وفي الوقت نفسه الشعور بالأمان الذي تبثه تلك النار في النفس، كان يتحدث ويتحدث اكثر مما تحدث الى أي انسان في حياته، حدثها عن مواسم جمع الماشية حين يستأجر تسعة او عشرة رجال لذلك، ثم يتعاقد مع طاه وعربة حيث يهتم الطاهي باعداد طعامهم اثناء سوقهم لماشيته عبر مزرعته، او ربطها وجرها عبر الوديان التي تجري فيها الأنهر، وشقوق الجبال وذلك لكي يمكن تفريقها ومن ثم وشمها ووضع بطاقات عليها بالاسم والعنوان ثم تحضيرها للتسويق. كانت هي تستمع إليه وكأن كل كلمة كان ينطق بها هي أهم ما سمعته في حياتها. كانت تحدثه في بعض الاحيان، عن الجبال في موطنها، ومخاطر استخراج المعادن من المناجم، النقص في الاعمال ومشقة الحياة هناك. حدثته عن اخوتها بقلق وشغف، وعن والدها بمرارة، وبكآبة عن والدتها وبصدق عن زوجها الراحل، وصفت له دودي وحكت له قصصاً مرحة عن تلك المرأة الشجاعة الفائقة الحيوية والتي اصبحت بمثابة والدة ثانية لها. كانوا قوماً فقراء، كما قالت، عاشوا دوماً يعملون لقوت يومهم. لم يكن الأمر سيئاً في الواقع، كما قالت حيث ان كل شخص كان يشارك الآخر مشقات الحياة، ولكن تشينتز والدها لم يكن من النوع الذي يحرم نفسه من شيء مهما كلف ذلك اسرته.

www.elromancia.com

قال لها ليون بعطف انها احسنت إذن بترك ذلك المنزل، واغرورقت عيناها بالدموع، قائلة انها مسرورة لمجيئها، فالمكان هنا رائع الجمال، فهي تشعر معه بالحرية والأمل حسب قولها.

* * *

بعد إسبوع او نحوه من وصولها، وجد ثوراً صغيراً منقلباً على جانبه في أخدود عميق ضيق حيث حشر في مسافة تبعد عن سطح الارض مسافة تتراوح بين خمسة امتار او سبعة، كانت قوائمه مطوية أسفله تحت بطنه فلا يستطيع تحريكها، وقد حاول ليون القيام بكل طريقة يعرفها لإخراج ذلك الثور من ذلك الأخدود، لكنه لم يستطع زحزحته برمي الحبل حول قرنيه او رأسه. اخيرا، وبعد ان تملكه اليأس بقدر ما تلطخ جسمه من وحل، ادرك انه ما لم يحصل على عون من احد، لن يكون امامه سوى اطلاق رصاصة الرحمة عليه، وان هذا الخيار الأخير هو الوحيد لديه لو انه كان وحده، لكن كاسي هنا الآن وقد اصبح بإمكانها ان تمتطي الخيل وهو يعلم انها ستساعده لو طلب منها ذلك.

اسرع عائدا الى المنزل على حصانه المتعب، وعندما دخل المنزل لاهثا وحذاؤه ينثر الرمال فوق الارض والبساط الذي كانت نظفته بيديها، وجدها جالسة على الاريكة تتصفح إحدى مجلاته، فقال لها: «لديّ ثور صغير قد سقط في اخدود عميق على بعد اربعين دقيقة

من هنا اما ان تساعديني في إخراجه او عليّ ان اقتله.»

وضعت المجلة وتوجهت الى غرفتها وهي تقول بهدوء: «اطفيء الفرن في المطبخ بينما اغير انا ملابسي.»

كان الوقت ثمينا، لكنه اسرع الى المطبخ، وجد في الفرن قالب حلوى خاف ان يتلف إذا هو اطفأ الفرن، ولكنه سيحترق إذا بقي هذا مشتعلا، وهكذا اطفأه آسفا، لكنه ترك الحلوى في الفرن راجيا ان يكون في الحرارة المحصورة في الداخل ما يكفي لإنضاجه.

عندما عاد الى غرفة الجلوس كانت كاسي هناك.

قال لها: «لا اظن لديك قبعة.»

«كلا.»

رفع عن مشجب في الجدار قبعة قديمة من اللباد وعاد بها الى غرفة الجلوس: «جربي هذه.» تناولتها منه وهي جالسة على الاريكة تنتعل حذاءها الخفيف، فهز رأسه قائلا: «نسيت ان ليس لديك حذاء مناسب.»

فقالت: «هذا غير مهم، في الواقع. أليس كذلك؟»

نظر إليها بشيء من الاشمئزاز وقال: «الآن، ألم أقل لك ان ركاب السرج سيحدث في كاحلك تآليل؟»

اومأت برأسها شاعرة بالخطأ فقال: «سأحضر اليك زوج جوارب سميكة.» ابتسمت له، طرف بجفنيه، ثم عاد الى غرفته ومد يده الى قعر الدرج وأخرج زوجا من الجوارب الصوفية السميكة يرتديها عادة في أبرد ايام الشتاء. قال لها وهو يسحب ستار باب غرفته: «هذه ستنفعك.»

استراحت كاسي على الاريكة وهي تلهث، انه رجل طيب عزيز عليها، وفي الحقيقة لم تجد الامان مع جوزيف في بداية تعارفهما كما وجدته مع ليون.
كانت حاجتها الى ترك منزل والدها هي التي شجعتها الى الزواج من جوزيف، وان يكون لهما منزل خاص بهما، كان جوزيف رجلا جديرا بالثقة، وجدها تستحق اهتمامه وعنايته، كانت تجد السعادة معه، لكنها ما وصلت الى مثل هذا الشعور بالشوق الذي تشعر به الآن نحو ليون.
لم تكن تتوقع هذا، كان كل آمالها تنحصر في ان يعجبها وان يتفاهما معا، كانت تتوقع الرضى على الاكثر، او التسامح على الاقل، ولم يكن لديها فكرة عما تتوقع منه بالمقابل. لقد ادهشها منذ البداية بعمق تفكيره وإلفته وادراكه.
لقد شعرت بذلك منذ اللحظة التي وقع فيها بصرها عليه، حتى انها فكرت بأن تجعل اتصالاتهما محدودة الى ان يتهيأ لهما معرفة ما إذا كانا متناسبين كزوجين.
فكرت في انه يريدها الآن هادئة متزنة، فهذه فرصتها التي ستثبت له فيها مبلغ العون الذي ستتمكن من تقديمه إليه، وكيف ستجعل حياته افضل، ارتدت الجوربين ثم حشرت قدميها في حذائها. اخذت القبعة ووضعتها على رأسها.
مهما كانت ردات الفعل التي توقعتها من ليون، لم يكن منها ما وجدته فعلا، فقط نظر إليها وهي تدخل

مخزن الغلال ثم لم يلبث ان انفجر ضاحكاً. خافت في البداية ثم ما لبثت ان اخذت تضحك هي ايضا.
قال:«يجب ان نجلب لك من المدينة ملابس مناسبة عندما نذهب إليها.»
قالت دون تفكير:«يبدو من كلامك انك مصمم على إبقائي هنا فترة.»
تلاشت ابتسامته وهو يقول:«وهل انت مصممة على الذهاب قريبا الى مكان ما؟»
نظرت في عينيه اللامعتين، وهزت رأسها نفياً فعادت إليه ابتسامته متألقة. وقال:«هذا جميل، حسنا، ان الثور في انتظارنا.»
حولت نظراتها عنه واندفعت تسير أمامه قائلة فجأة:«إذا شئت الصراحة، اظن ان من الامور المهمة، بالنسبة الى رجل وامرأة في وضعنا هذا، ان يتآلفا مع بعضهما البعض، وإلا... وإلا، فلا فائدة من الاستمرار، هذا الى انني اريد أسرة ولهذا...»
هتفت بسعادة وقد تملكتها الدهشة:«تريد أسرة؟»
بدا عليه الذهول لحظة ثم قال:«اريد ماذا؟»
«اعني تريد اسرة... اطفالا؟»
ضاقت عيناه وكأنه يريد ان يقول انها فقدت ذلك التعقل القليل الذي لديها:«لقد قلت هذا لتوي أليس كذلك؟»
«نعم.»
«من الطبيعي انني اريد ذلك، اتظنين انني سأترك

خلفي هذا المكان لأبناء رجل آخر؟ طبعاً، إذا انا اضطررت الى ذلك، هناك اولاد ديل، ولكنه سيترك لهم مزرعة فارغون، وهكذا ليس ثمة ما يمنع من ان احتفظ بما لدي، ألا تظنين ذلك؟»

«نعم، بالطبع.»

قال:«هذا حسن، اعني... انت تحبين الاطفال، أليس كذلك؟»

«طبعاً.»

ابتسم:«حسناً، هذا شيء نحن متفقان عليه، ام هل أقول، شيئان؟»

لم تكد كاسي تستطيع التنفس. يا لروعة ذلك... ويا لروعته. أخذت تفكر في بيتي وبارت وفريدي والتوأمين، وعمليا لم يعد نيوت طفلا، فهو سيكون مفيدا جدا في هذا المكان، وسيدرك ليون ذلك عندما تخبره عنه.

شعرت فجأة وكأن قلبها يكاد ينفجر من شدة الفرح، ومنحته ابتسامة عريضة تنضح سعادة.

نظر إليها مستغربا ثم قال:«إذا كانت هذه الفكرة قد اعجبتك الى هذا الحد، ربما علينا ان نتزوج حالا.»

قالت ضاحكة:«نتزوج؟»

«نعم، لكي نبدأ بإنجاب الاطفال.»

الاطفال! انه طبعا يريد اطفالا... اطفاله هو.. ولكن هذا لا يعني انه سيرفض غلمانها. هتفت فجأة:«الثور.»

جمد في مكانه لحظة لم يلبث بعدها ان قال فجأة:«خذي هذا الحصان.»

اومأت وهي تكتم ابتسامة، ثم اسرعت ممتثلة لأمره الى حيث امتطت صهوة الحصان الذي كان أسرجه لها، وألقى ليون إليها زوجا من القفازات وهو يقول:«علينا ان نسرع، فانتبهي الى نفسك. لكنك اكثر اهمية من الثور، فإذا صادفتك أي مشكلة ناديني، هل سمعت؟»

كان سائرا امامها وهو يكلمها، فأومأت بثقة وهي تعدل من جلستها.

انطلق بحصانه فانطلقت خلفه، عندما تجاوزا مخزن الغلال، نظر ليون من فوق كتفه ليطمئن عليها، ثم بدا عليه الرضى، وزاد من سرعة حصانه، فتجنبت الحفر والصخور والعقبات غير المرئية في الطريق ما قد يسبب للحصان التعثر، ولهذا حرصت على ان تجعل حصانها يسير على خطى حصان ليون مباشرة.

بعد عدة دقائق ابطأ في السير، ثم عادا فأسرعا مرة اخرى، وفسر لها ليون ذلك بأن هذه الطريقة تجنب الجياد الإرهاق ونقص الاوكسجين الذي يستنفذه اللهاث، والذي قد يسبب سقوط الجواد في الطريق وهذا شيء خطر للحصان وراكبه.

اومأت كاسي متفهمة وهي تركز على الاحتفاظ بتوازنها، وعندما اخذا في الصعود، كان الإرهاق ومحاولة تذكر كل تعليمات ليون لها، قد تملك منها.

سمعا خوار الثور قبل ان يصلا الى الهضبة الصخرية المنشقة عن الاخدود، اوقف ليون الحصان ثم ترجل عنه. وبعد ان قيده الى شجيرة قصيرة بين صخرتين، قال مشيرا الى حيث الثور:«يبدو من صوته القوة.» وأخرج من جيبي السرج مزلاجا وكتلا خشبية وحاملات معدنية، وهو يتابع قائلا:«ارجو ان لا يكون قد ألحق الأذى بنفسه، لكنني لا اظن ذلك، فهو عالق تماما في الشق.»

ترجلت كاسي عن صهوة حصانها وقالت:«هل يمكنني القيام بشيء؟»

قال وهو يحدث ثقوبا في الارض يثبت فيها قضباناً حديدية:«اريحي نفسك قليلا، فسأكون بحاجة إليك في الاخدود أسفل.»

اجابت ذاهلة:«أنا؟»

اومأ إيجاباً، فقالت:«ولماذا انا؟»

اجاب وهو يضع الترباس في مكانه ويدير الحاملات:«لأن ليس بإمكانك ان تسحبيني الى اعلى.»

«آه، هذا معقول.» سارت نحو حافة الاخدود تلقي نظرة، شهقت بعدها ثم تراجعت متعثرة الى الخلف وهي تقول:«انها تبدو خمسين قدما عمقا.»

فقال:«كلا، انها ليست اكثر من خمسة عشر، وربما عشرين.»

تساءلت عما إذا كان هذا صحيحاً. يبدو انه عرف ما يجول بخاطرها، فقال يطمئنها:«ستكونين على

ما يرام، فأنا سأنزلك ثم انتشلك دون أي مشاكل، المهمة الشاقة هي لف ذلك الحبل حول الثور.»

شهقت ذاهلة:«اتريدني ان ألف حبلا حول ثور محشور في أخدود على مسافة عشرين قدما تحت الارض؟»

نظر إليها بعينين شبه مغمضتين:«نعم، وهذا هو كل شيء تقريبا.»

«لا يمكنني القيام بهذا العمل، يا ليون، انه مستحيل.»

قال وهو يتقدم نحو حصانها ليخرج البكرة الجرارة التي كان وضعها في جيب السرج:«والآن لا تكوني سلبية بالنسبة لكل شيء، قومي بما اطلبه منك وليكن لديك شيء من الثقة.» اخرج كذلك لفة من الحبال ووضعها على كتفه.

نظرت إليه وهو يسير الى بقعة تبعد عنها حوالي المترين حيث كانت هناك صخرتان متقابلتان احداهما اعلى من الاخرى بقليل، فدق الوتد ذا الثلاث قوائم الذي كان صنعه، في الشق الذي يفصل بين الصخرتين وثبت فيه البكرة الجرارة، ثم ابتدأ يدخل الحبل خلال الجهاز وذلك بحركات واثقة، شعرت هي لذلك بشيء من الارتياح وسألته:«اظنك سبق وقمت بهذا العمل من قبل، أليس كذلك؟»

«ليس بالضبط.»

نظر إليها، ثم قال بهدوء:«اسمعي، إذا كنت لا تريدين ان تقومي بهذا العمل، فقط قولي هذا. لأنك

www.elromancia.com

إذا لم تريدي، فكلما اسرعت بوضع نهاية لعذاب هذا الحيوان المسكين، برصاصة، كان هذا افضل.»

«ماذا تعني بذلك؟»

«لا يوجد خيار آخر، انك لا تريدينني ان اتركه في الاخدود ليموت جوعاً، أليس كذلك؟»

«آه، كلا بالطبع.»

«إذن؟»

اغمضت عينيها لحظة:«حسناً.» حقاً لم يكن هناك بديل مقبول، على كل حال، كانت واثقة من ان ليون لن يسمح بأن يحدث لها شيء. لذا قالت:«ماذا عليّ ان افعل، اولا؟»

ابتسم وأومأ راضياً:«ضعي قفازيك ثم تعالي.» قامت بما طلبه منها بالضبط، رفعت ذراعيها ليتمكن من ربطها بالحبل، مركزة انتباهها جيداً وهو يريها كيف تحمل لفة الحبال الثانية فوق كتفيها وكيف توسع عقدة الحبل التي كان صنعها في نهايته، مستمعة الى تعليماته عن كيفية تثبيت قدميها على جانبي الأخدود عندما تصل الى الثور، ثم تضع الحبل فوق قائمتيه الخلفيتين، على ان تحاذر الإقتراب من قرنيه النطاحين.

قال:«انه لن يتمكن من نطحك، لأنه لا يوجد مسافة كافية، ولكنه قد يسمّر ذراعك او يدك او قدمك على الصخرة. فإذا حدث ذلك، تمسكي بالهدوء واعملي بحرية. فالأسوأ يقود الى الاسوأ، وأنا عند ذلك،

سأطلق النار على رأسه، ثم آخذ الطرف الثاني من الحبل ثم انزل اليك لأخرجك. اتفقنا؟»

اومأت برأسها، لكنها كانت تفكر في أنها ستعتبر نفسها امرأة فاشلة إذاهي نزلت مغامرة بنفسها ومتحملة كل ذلك العناء، لكي تدعه يطلق النار في النهاية على ذلك الحيوان.

دفعها برفق مشجعاً، الى حيث البكرة الجرارة، متخذاً وضعاً مناسباً خلفها، قابضاً على الحبل بيديه بعد ان وضع القفازين، ثم ثبت ساقيه وهو يقول:«عندما تصلين الى الثور إصرخي لي، عند ذلك اتمهل ثم اربط الحبل، وعندما يصبح الحبل الآخر حول الثور، فقط إبقي ممسكة بالطرف. عند ذلك سأصعدك اولا، ثم نستعمل الجوادين لكي يصعدا الثور، هل فهمت؟»

اومأت برأسها مرة اخرى.

قال:«فلنبدأ، إذن.»

سارت كارهة الى حافة الاخدود وجلست عليها، ثم اخذت تنزلق كما علمها، كانت فتحة الاخدود اكثر اتساعاً من ان تسمح لها بالتمسك وتثبيت قدميها، لكن الحبل كان يمسك بها جيداً، وما لبث الاخدود ان ضاق الى حد تمكنت معه من ان تثبت قدما على كل جانب ثم تهبط تدريجياً، عندما رآها الثور متجهة نحوه، اخذ يخور غاضباً، حاولت ان تتحدث إليه بصوت هادىء رقيق، لكنه اخذ يكافح ويتخبط

www.elromancia.com

محاولاً ابعادها عنه وهو يخور خوفاً، وفوقه تماماً، ثبتت قدميها بقوة، ثم صاحت تنادي ليون، فتوقف عن انزالها، وبعد لحظات كان يطل عليها من فوق حافة الاخدود، كان يقول شيئاً ما لكنها لم تستطع سماعه بسبب خوار الثور.

فكوّر يديه وصاح يقول:«ارفسيه.»

«ماذا؟»

«ارفسيه.»

ثبتت يديها على جانبي الأخدود، ثم رفعت قدمها ورفست الثور، فكوّر ليون يديه مرة اخرى وصاح يقول مرة اخرى:«ارفسيه مرة اخرى، يا كاسي، فلن يصيبه ضرر.»

عندما فعلت سكت الحيوان، فرفعت بصرها الى ليون باحترام شديد.

قال:«تمهلي الآن، فأنا لا اريد ان تصابي بكسور في عظامك.»

ألقت عليه نظرة جافة ثم ابتدأت العمل، وبعد نصف ساعة من الجهد البالغ، كانت قد اصبحت على وشك ان تطلق النار على ذلك الثور بنفسها، ولكنها في النهاية، استطاعت الإمساك بقائمتيه الخلفيتين، ثم ثبتت الحبل حول خصره، ثم صاحت تقول لليون:

«هذا احسن ما بإمكاني القيام به، يا ليون، عليك ن تحاول جذب الحبل الى اعلى جسمه من عندك هناك.»

قال وهو يغيب عن بصرها:«انتظري يا كاسي، وسأرفعك الى هنا.»

كانت اطرافها ترتجف، بحيث لم تستطع ان تساعده كثيراً في صعودها لم تستطع تثبيت قدميها على جانبي الاخدود، لكن لم يبد عليه أنه منزعج كثيرا، وسرعان ما اصبحت على الارض حتى قبل ان يستعد هو تماما لذلك، فربط الحبل وجاء لمعاونتها وهو يحمل في يده وعاء فيه ماء، ثم رفع لفة الحبال من على كتفها وألقى بها على الارض. قالت تومىء برأسها:«لا أدري إذا كنت نجحت في ذلك، يا ليون.» لكن اهتمامه كان مركزاً عليها كما يبدو.

قال:«اجلسي الآن، يا كاسي، ودعينا انا والجوادين، نقوم بالبقية، لقد بذلت جهدك، وليس بإمكان أي احد آخر ان يفعل اكثر من ذلك، فأريحي ذهنك.»

اومأت وجلست على الارض، اخذت تشرب الماء بينما كان هو يفك قيد الجوادين وينهضهما، وقالت له:«لا اريدك ان تطلق النار عليه يا ليون، ولكنني لا ادري ان كان عملنا سينجح.»

سار إليها، ثم انحنى يقول لها:«ما دمت قد تعاطفت مع ذلك الحيوان، فإذا كان علينا ان نطلق النار عليه فلن نأكله، هل ارتحت الآن؟»

هتفت:«آه، يا للغرور، ليون.»

ضحك وقال:«سأعلمك التمتمة بالأسبانية.» ثم تركها وابتعد.

www.elromancia.com

استلقت على الارض شاعرة بالسرور لخلاصها من ذلك الوضع الشاق في الاخدود، وبدا وكأن الزمن لا نهاية له قبل ان ينهي ليون ترتيباته ويتقدم بالجوادين، ثم جاءت لحظة شد الحبل، يتبعه خوار الثور مرة اخرى.

زحفت كاسي الى حافة الاخدود، ثم قالت بعد ان القت نظرة:«أنك تؤذيه.»

صاح يقول:«يا كاسي، انني ربما قتلته، اي نهاية تبدو لك محتملة؟»

«لا للأثنتين.»

قال شيئاً بالإسبانية، ثم اخذ يصدر صوتاً لجواديه، وارتفع الحبل ومن ثم الثور.

حبست كاسي انفاسها بينما الثور يخور ويخور، ثم اخذ يرفس وقد انزلقت قوائمه الى الاسفل. فجأة رأته متسلقاً نحوها، فصرخت:«انه قادم، انه قادم.»

كان ليون يركض هابطاً التل امام الجوادين، وهو يصيح بها:«ابتعدي الى داخل الاخدود، فرأت الثور امامها ونظراته المجنونة مسمرة على وجهها وقرناه يتحركان بعنف، فألقت بذراعيها على رأسها وقذفت بنفسها الى الخلف وذلك في الوقت الذي وصل فيه الى الحافة وهو يخور ويلقي برأسه هنا وهناك، اصابها في ساقها، ثم توارى بين مجموعة الصخور، وعندما رفعت بصرها بعد ذلك، كان ليون على المرتفع حاملاً الحبل بيديه. وكان الثور والجوادان يركضون في

اتجاهين مختلفين، ثم إذا بشيء يحدث، فقد نفض ليون الحبل، فانحلت الانشوطة الملتفة حلو جسم الثور فانطلق هذا حرا يهبط المنحدر وهو يخور ويحرك ذيله، بينما جلس ليون على سرج حصانه يعيد لف حبله.

شهقت كاسي، ثم انطلقت بالضحك، وعندما انتهى، استدار بالحصان متجها نحوها.

نهضت وهي تهتف ملوحة بقبعتها:«لقد نجحنا.»

ترجل عن حصانه، ثم تقدم نحوها واللجام بيده، وهو يقول وعيناه تلتمعان:«لم اشك في ذلك ابداً، بإمكاننا ان نكون شريكين ناجحين، ألا تظنين ذلك؟»

فقالت:«نعم، هذا صحيح.»

قال ضاحكاً وهو يناولها اللجام:«أمسكي هذا.» ثم اخذ يعيد كل ادواته الى اماكنها في السرج. وكان قد استعاد اللجام منها وامتطى صهوة جواده وذلك قبل ان تدرك انها من دون جواد. فصرخت:«ماذا سنفعل؟»

رفعها على سرج حصانه، فقالت له:«ولكن ماذا حدث لحصاني؟»

قال دون اهتمام:«ربما سيسبقنا الى مخزن الغلال.»

ضحكت قائلة:«كيف لم افكر في ذلك؟»

«لأن سعادتك منعتك من التفكير، ولكنني غير سعيد.»

«انت غير سعيد؟ وما السبب؟»

«لأن كل ما كنت تريدينه هو اخراج ذلك الثور من الاخدود، اما انا فكنت اريد شيئاً آخر.»

شعرت بالحذر من لهجته، ولكنها لم تستطع ان تصدق تماما، فالتفتت إليه، وسألته:«ما الذي تريده يا ليون؟»

بقي لحظة طويلة صامتاً، ثم قال:«ان علينا ان ننتظر ثلاثة ايام بعد تقديم رخصة الزواج، فإذا حصلنا عليها غدا، بإمكاننا الاحتفال بالزفاف... في عطلة نهاية الاسبوع، اننا بحاجة الى بعض التسوق ايضا، بالطبع، أليس كذلك؟»

لم تنطق بكلمة، خائفة من ألا تكون قد سمعت جيداً، ثم التفتت إليه، ولكنه تجاهلها وهو يتابع قائلا:«يمكنني ان استدعي دولوريس وكاتر ليكونا معنا، وإذا كنت لم تفهمي تماما ما اقول، فأنا اطلب يدك للزواج.»

كان صحيحاً ما سمعت، فرفعت يديها الى وجهها وقد انهمرت دموعها، ثم همست:«آه يا ليون.»

نظر إليها وقد تألقت عيناه، وقال:«لقد قلت لك سابقاً وهي اننا نصلح شريكين، وأظنني سأكون رجلاً محظوظا جدا اذا انتِ قلت نعم، أليس كذلك؟»

اومأت برأسها ايجاباً من دون ان تستطيع الكلام، وقد انهمرت دموعها فوق خديها.

الفصل الرابع

استيقظت كاسي وأشعة الشمس تتدفق من النافذة، فكان اول ما تبادر الى ذهنها هو انها ستتزوج.

استدارت تنظر الى اشعة الشمس على ارض غرفتها، فشعرت بوخزة ألم. لم يدهشها هذا وهي تفكر في المجهود الشاق الذي بذلته امس. كان اسوأ كثيراً مما كانت تخشى، وعندما جلست على حافة السرير، شعرت بعذاب لا يوصف، فقد كان الألم يسري في جسمها. كما ان ذراعيها كانتا متشنجتين. وعندما حاولت النهوض، اخذت تصرخ.

دخل ليون وفي يده فنجان قهوة.

قال لها وهو يرفع فنجانه الى شفتيه:«اظنك تشعرين بالألم هذا الصباح.»

اومأت وهي تقول بارتباك:«أسفة لتأخري.»

«لا بأس، أم تراك نسيت اننا سنذهب الى المدينة اليوم؟»

المدينة... رخصة الزواج... وتلاشى شعورها بالارتباك ليحل محله خجل غير متوقع، فأومأت برأسها غير واعية الى الرقة التي بدت في نظراتها وهي تقول:«لم انس.»

ابتسم قائلاً:«هذا حسن. اتريدين فطوراً؟»

«آه، لا بد ان احضر لك الطعام.»

اجاب:«كلا، فقد تناولت طعامي. اما طعامك فهو في الفرن.»

قالت وهي تستدير نحو الباب:«انني شديدة الأسف.»

تبعها الى غرفة الجلوس وهو يقول:«لماذا؟ انني احسن الطهي، كما تعلمين، فأنت ليس بإمكانك احضاره هذا الصباح.»

قالت وهي تئن متستند الى كرسي:«اعلم ذلك. ماذا سأفعل؟»

اجاب وهو يضع فنجانه من يده:«حسناً، اولاً، يجب ان تتناولي الفطور.»

نظرت إليه وقد تملكها شعور بالغ بالدفء، وبأنها محبوبة. لم تكن تتوقع ان تجد من يحبها مرة اخرى. فاغروقت عيناها بالدموع. هل هذا ممكن؟ لكنها لم تخبره بعد بالحقيقة. انه لم يعلم ان ليس بإمكانها ان تأتيه بمفردها. انه لم يعلم انها تريد منه اكثر مما يريده منها. فكيف يمكنها ان تخبره الآن؟ انه سيتألم وسيصدم، ويشعر انها غدرت به. ما الذي فعلت؟

نهض قائلاً انه سيعدّ فطورها... ما الذي ستفعله؟ عليها ان تخبره، ولكن كيف؟ كيف تستطيع ان تحتمل ايذاءه؟ الافضل ان ترحل. ان تغير رأيها. ان تتركه الآن قبل ان يدرك ماذا فعلت. لكن كيف لها ان تعلم انه سيقتنع بها؟

تملكها الذهول انها كاذبة مخادعة، مستغلة. فكرت في والدها فشعرت بالمرض، لا يمكنها احتمال هذا. عليها ان ترحل اليوم. انه سيأخذها الى المدينة، وهنا ستخبره انها غيرت رأيها، ثم تطلب منه اجرة الباص. لكن الى اين؟

ليس بإمكانها ان تذهب الى إخوتها، لأنهم يقيمون مع والدهم، جميعهم ما عدا بيتر. هل يمكنها الإقامة مع دودي هي وابنها؟ فدودي بحاجة الى عونها. وستدفع لها اجرة بدل الإقامة في غرفة لها ولإبنها. لكن هذا يعني ان اخوتها سيبقون مع والدهم تشينتز ومارلين، او الاكثر احتمالا ان يدخلوا دار الرعاية الخيرية. حدثت نفسها بعنف ان هذا لا يمكن تجنبه. ابتسامة فريدي المغرورة، ونظارات بارتون السميكة طافتا امام عينيها. كيف تستطيع ان تتركهما لشينتز؟ كيف يمكنهما ان يحتملا الوحشية التي سيواجهانها؟ وماذا عن التوأمين؟ انهما وغدان منذ الآن، فكم من الوقت يلزمهما ليكونا كوالدهما؟ ونيوت؟ إنه يستحق كل شيء حسن... فهو لامع الذكاء وعنيد ومحبط. وهو سيرفع قبضته على شينتز مرة بعد مرة... إلى ان يقتله تشينتز.

انها لا تستطيع ان تعود. لا تريد ان تعود. لقد قررت الآن ما ستفعل. ليس بإمكانها العودة، ولهذا ستخبره بكل رقة ولطف، وبطء. ستجعله يعلم بأنها تحبه وستحترمه على الدوام.

عندما عاد من المطبخ، استدارت تنظر في عينيه تقول:«اريد ان اخبرك بشيء.»
ابتسم لها بثقة، وقوة:«هذا حسن، ما هو؟ اخبريني؟»
ازدردت غصة في حلقها، وأخذ قلبها يخفق بعنف حتى ظنت نفسها على وشك الانهيار. ابنها بيتر على الاقل. ان عليها ان تخبره عن بيتر. ولكن ماذا لو غضب؟ لو شعر بخيبة أمله فيها؟ ماذا لو كان لا يقبل في بيته ابن رجل آخر؟ وما هو الأمل الذي سيبقى عند ذلك، لأي منهما؟
رأى الخوف في وجهها فكسى وجهه الجد. وقال بلطف:«انك ترتجفين، يا كاسي.»
اندفعت تقول:«ان لدي ابنا، وهو في الرابعة من عمره. كان يجب ان اخبرك منذ البداية. ولا أدري لماذا لم افعل. لم اعتقد بأن معرفتنا ببعض قد تنتهي بالزواج.»
بدا عدم التصديق على وجهه:«لديك ابن؟»
لم تستطع ان تخمن بما يفكر او يشعر من وراء دهشته هذه. فاتكأت الى الجدار وهي تشبك ذراعيها ببع. لم تعرف ماذا تقول غير هذا او ماذا عليها ان تقول.
قال:«ان لديك ابنا، فهل ظننت ان ذلك يشكل بيننا أي فرق؟ هل ظننت انني إذا كنت علمت ذلك فسأرفضك؟»
حاولت ان تقول شيئاً فلم تستطع، وأومأت برأسها.

فقال لها بصدق:«ربما كان سيحدث هذا في البداية ولكن ليس الآن.»
بدا عليها الارتياح لأنها لم تحدثه بالأمر منذ البداية.
سألها:«اين هو؟»
«مع دودي. لم استطع تركه مع والدي. فمارلين تضربه. لكنه ولد طيب وخجول.»
«ما اسمه؟»
«اسمه بيتر.»
«اتظنينه سيحبني؟ وهل سيكون سعيداً هنا؟»
نظرت في وجهه وهمست:«بالطبع، يا ليون.» لم تستطع أن تكبح السعادة التي تملكتها. عرفان الجميل، الارتياح والامان. انها تريده، بحاجة إليه.
قطع عليها افكارها:«انك لم تجيبي على سؤالي. هل سيكون ابنك سعيدا هنا؟»
«نعم، آه، نعم. انني واثقة من ذلك.»
«وهل سيقبل بي والدا؟»
«طبعا سيقبل.»
«سنرسل بطلبه اليوم.»
اليوم! واكتسحتها بهجة عارمة. انه سيرسل بطلب بيتر اليوم. سيحضره الى هنا، ليربيه! لكن بيتر لم يكن سوى طفل صغير واحد، وما زال هناك خمسة عليه ان يعلم عنهم. لقد كان قال انه يريد أسرة، ولكن هل هناك رجل بكامل عقله يقبل بستة اولاد؟ لكن، عليها ان تخبره. لا يمكنها ان تهجر إخوتها.

www.elromancia.com

كانت وعدتهم بأن تهيىء لهم بيتا يعيشون فيه، لكن هذا لا يعني ان عليها ان تخبره في هذه اللحظة. ستخبره فيما بعد. عندما يتكهن بمبلغ السعادة التي سيجدها معها.

قالت له:«كيف يمكنني ان اشكرك؟»

اجاب:«لا اريدك ان تشكريني.»

«اطلب مني ما تريد، وانا انفذه لك. أي شيء.»

فقال برقة:«اريد كل شيء جميل لأجلنا، يا كاسي.»

شملتها موجة عجب، ونظرت في عينيه مبتسمة وهي تقول:«آه، يا ليون. آه، يا ليون. كم انا محظوظة. كيف استطعت ان احصل على هذا الحظ.»

فقال:«ربما هو الوقت المناسب تماما لتغيير الحظ، بالنسبة إلينا، نحن الاثنين.»

وصلا الى المدينة متأخرين، ولكنهما عند العصر، كانا يمتلكان رخصة الزواج وقد تملكهما الزهو. هذا الى خاتمي زواج ذهبيين وكذلك وصل بتذكرتي سفر بالباص من غرب فيرجينيا الى تكساس وإذ كان بيتر اصغر من ان يسافر بمفرده، فقد قررا ان شقيقها نيوت، قد يتمكن من الحضور معه. فقد قال ليون بدماثة، انه يرحب بزيارة شقيق كاسي الفنان. وبعد فسرعان ما يصبحون اقرباء بالنسب.

اقترحت كاسي، بعفوية، ان نيوت قد يتمكن من مساعدة ليون في المزرعة، لكن ليون اشار الى ان المنزل اصغر من ان يتسع لأكثر منهما، هما الاثنين، وبيتر معهما.

عندما يتمكن، سيضيف إليه بعد الملحقات. ولكن كاسي قالت ان هذا المنزل ليس اصغر، في الواقع، من المنزل الذي كانت هي وابنها بيتر واخوتها ووالدها ومارلين يعيشون فيه، لكنها لم تصرِ على البحث في هذا الأمر. لقد بهتت سعادتها قليلا، لكن الرجاء تملكها في ان يحب ليون شقيقها نيوت ويجد فيه عونا يجعله يصر على بقائه. بعد ذلك يمكنها ان تكشف أمر إخوتها الباقين بكل حرص، إذ تتحدث عن حاجة التوأمين الماسة الى يد قوية تنشئهما.

عند ذلك سيصبح من السهل، وقد اصبحوا اقرباء، ان تقنعه بأن يحضر إليه فريدي وبارت. فهي لا تعتقد بأنه لا يمكن إقناعه، او انه سيرفض مد يد العون.

ارفقت بتذكرتي السفر رسالة سريعة الى نيوت، وذلك عن طريق دودي. اخبرت اخاها عن زواجها الوشيك، وطمأنته الى ان ليون رجل رائع وان اجتماعهم مرة اخرى لم يعد سوى مسألة وقت. لم تتمكن، لنفاد وقت مكتب البريد، من ان تتوسع في وصف جمال المزرعة. بعد ذلك تناولت عشاءها مع ليون في مطعم للشواء، ثم اتخذا طريقهما نحو المزرعة.

* * *

كانت الايام التالية مليئة بالتوقعات. لقد استمر ليون في الخروج الى عمله قبل بزوغ النهار. والأمسيات يمضيانها في الحديث عن الزفاف.

اتم الترتيبات بواسطة الهاتف. كان اول ما فعله هو ابلاغ اصدقاءه. كاتر ودولوريس باترسون ذهلا للأمر، ولكنهما هنآه بحماسة مصرين عليه ان يقيم حفلة الزفاف في منزلهما. لم تهتم كاسي بذلك حيث انها كانت سعيدة بزواجها من ليون حتى ولو حدث ذلك في الشارع. لكن ليون بدا مسرورا للغاية بذلك. وقررا أن يقيما عقد زواجهما عند العصر لكي يتمكنا في الصباح من شراء الملابس.

استيقظت صباح الجمعة عند الفجر واتجهت الى المطبخ لتجد ليون جالسا يرشف فنجانا من القهوة، سألها:«هل تريدين تناول الفطور؟»

هزت برأسها، قائلة:«سوف أجهز لك شيئاً.»

فقال:«كلا. كنت افكر في تناول افطار متأخر في مقهى صوفي.»

«هذا حسن. سأسرع في تجهيز نفسي اذن.»

عندما وصلا الى مدينة فان هورن، كان الوقت ظهراً. تناولا الافطار في مقهى صوفي، ثم حجزا مكانا لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في فندق هناك.»

كان فندقا مرتبا حسنا بالنسبة الى حجم المجتمع الصغير، ما ادهشها. كان هذا اول تجربة لكاسي في الإقامة في الفنادق. لقد سرّ ليون لسرور كاسي وأعلن بصوت عال انه سيأخذها في اول ذكرى سنوية لزواجهما، الى فندق فاخر حقا وذلك في مدينة الباسو. كان في مجرد حديثه عن الذكرى

السنوية الأولى للزواج ما جعل دموعها تنهمر. وقد ضحك ليون لذلك ثم اخذها للتسوق.

كان ليون مصمما على ان يكسو كاسي من كل شيء وذلك رغم اعتراضها، فاشترى لها الثياب المتنوعة والاحذية. كما اشترى لها قبعتين واحدة بيضاء ذات حواف مخرمة، وأخرى من الفراء. وذعرت عندما اشترى لها الاثنين معا.

كانت تحاول ان تقول له انها تفضل لو ينفق نقوداً اقل على الملابس، وذلك لكي يشتري اشياء اخرى مثل دهان للمنزل وبساط او اثنين متألقي الألوان بدل ذلك البساط البني الذي يغطي ارض غرفة الجلوس. كان جوابه ان اخذها الى المتجر الذي يبيع الاثنين. عندما رفضت بعناد ان تختار الألوان، قام بذلك بنفسه مختاراً اغرب الألوان غير المعتادة. عند ذلك اقتنعت برأيه... ومن ثم انتهيا بشراء دهان ومعداته كافة.

تملك كاسي الخوف لكمية النقود التي انفقاها في ذلك اليوم، لكن ليون كان مسروراً تماماً.

قالت تناقشه:«كنت توفر نقودك لتشتري تلك الثمانية آلاف فدان.»

قال بمرح:«معك حق. ولكنني الآن عليّ ان احسب حساب أسرتي.»

«أسرتي؟» ابتسمت وهي ترفع إليه بصرها هامسة:«هل تعرف كم انت رائع؟»

www.elromancia.com

فقال:«إنني اكثر الرجال الرائعين حظاً هنا.» نظر في ساعته ثم هتف يقول ان الوقت بالكاد يكفي لأخذ المشتريات الى الفندق، ثم الذهاب الى منزل آل باترسون لارتداء ثياب الزفاف.

كان موعد الزفاف في السادسة، أي بعد اربع ساعات تقريبا. لكن اذا قال ليون ان عليهما ان يسرعا فإن عليها ان تسرع. وصلا الى منزل آل باترسون خلال ربع ساعة.

كان كاتر باترسون صاحب مصرف، وكان منزله واسعا مبنيا من القرميد، بينما طريق منزله ترابيا والفناء يغطيه العشب المشذب.

فتحت زوجته دولوريس الباب، ابتسمت لهما وهي ترحب بهما:«تفضلا بالدخول. لقد جئتما في الوقت المناسب تماما.»

فقال ليون:«الوقت المناسب لماذا؟»

اجابت وهي تلتفت إليهما من فوق كتفها وتسير امامهما الى قاعة الجلوس:«للغداء.» ثم صاحت تخاطب شخصا في الداخل:«اضف مكانين الى المائدة، واستعمل صحون الكرتون، فأنا لا اريد ان اغسل الأواني طوال النهار.»

في غرفة الجلوس بسطت ذراعيها تشير الى ما حولها وهي تخاطب ليون وكاسي قائلة:«ما رأيكما؟»

لم تكن كاسي قد رأت مثل هذا المنزل الجميل من قبل. كانت الغرفة فسيحة ذات جو بارد منعش وكان

السجاد وورق الجدران والأثاث، كل ذلك وردي اللون مزين بنقوش ذات لون توركوازي وأبيض. كانت هناك مصابيح ضخمة ومناضد، كما تدلت من السقف مراوح كانت تدور ببطء بالإضافة الى مدفأة من القرميد الابيض فوقها مرآة ضخمة مساحتها لا تقل عن ستة اقدام، بينما كانت الازهار في كل مكان.

هتف ليون يقول:«ما كان لك ان تفعلي كل هذا.»

ظهر كاتر باترسون عند الباب مرتديا بنطلونا ذا لون ازرق داكن وقميصا ابيض وربطة عنق سوداء. بدا اكبر سنا من ليون وقد اختلط لون شعره بين الشقرة والبياض، وكان الذكاء الحاد يتألق في عينيه. قال ضاحكا:«اتظن اننا سندعك تتزوج دون الاحتفال بذلك؟ ثم ألا تعلم ان دولوريس لا يمكن ان تدع فرصة كهذه تمر دون ان تستغلها في التسوّق؟ لقد كانت في الباسو هذا الصباح قبل ان تفتح المتاجر ابوابها. فاشترت حانوت ازهار بأكمله. انها منذ اشهر لم تبتهج بشيء مثل الآن.»

اردفت دولوريس:«آه، ثم انني اشتريت لكما هدية زواج رائعة. انها طقم صحون مصنوعة من الفخار الثقيل من صنع الهند... حسنا، لا اتذكر أين. هيا معي وسأريكما إياها.»

سارت امامهما الى المطبخ حيث ارتهما كل شيء. كانت الصحون في صندوق كبير موضوع على المنضدة، حمراء ثقيلة في وسطها دائرة صفراء

www.elromancia.com

وخط ذو لون توركوازي على الحافة الخارجية. اعجبت كاسي بها كثيرا على الفور. فهي لم تحصل على طقم كامل من الاطباق طوال حياتها ما جعلها تضم طبقا منها الى صدرها وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

فقال ليون:«شكراً يا دولوريس.»

اومأت كاسي:«نعم، شكرا.»

اجابت دولوريس:«هذا من دواعي سروري، يا عزيزتي. صدقيني انني اعيش فقط لأجل التسوق.»

اخذت كاسي تضحك:«حسنا. انك وليون متفقان تماما في هذا الشأن. فقد كان ينفق النقود هذا الصباح وكأنها ماء.»

رفعت دولوريس حاجبيها قائلة:«هذا يعجبني.»

فقال ليون:«نعم، حتى انني اشتريت سروالين لارتديهما يوم زفافي وأبدو بمظهر لائق. فقولي لي الى اين ابعثهما حيث انشيهما.»

قالت دولوريس مشيرة الى باب دوار:«غرفة الغسيل من هنا. فيها حوض يحتوي على نشاء طوال النهار. اصحاب المصارف عليهم ان يبدو في أحسن مظهر على الدوام.»

سألت كاسي ببراءة:«ولماذا؟»

بدت الدهشة على دولوريس:«لماذا؟ لكي يبدو القماش صقيلا خاليا من التجعدات.»

نظرت كاسي الى بنطلوني الجينز المطويين كالورق

بين ذراعي ليون، وقالت:«ولكنها غير متكرشة الآن.»

شبكت دولوريس ذراعيها ورفعت حاجبيها:«يا صديقتي، انها ليست منشاةٍ بشكل كاف بالنسبة الى راعي بقر. انا شخصيا افضلها منشاة لأنها تجعلك، إذا انت ارتديها تتحكمين في نفسك. ومرة اخرى، لا اراك بحاجة الى تحكم كثير في نفسك، أليس كذلك؟»

ردت كاسي بحدة:«اكثر منك.»

اشرق وجه دولوريس:«كنت اعلم اننا سنصبح صديقتين.»

ضحكت الاثنتان، وتركهما ليون ليدخل الى غرفة الغسيل. جلست دولوريس امام المنضدة ودعت كاسي الى الجلوس بينما بدأ في اعداد غداء مؤلف من سندويشات لحم وبيض. اما ما تلا ذلك فقد كان شواء لا صِله له بالطهي. كانت دولوريس تلقي بالاسئلة جزافا، وكانت كاسي تجيب عليها بحذر قدر الإمكان. في غضون دقائق كانت قد كشفت عن كل ما كانت تخشاه، وأخذت تشرح امر زواج والدها الثاني.

وضعت دولوريس مرفقها على ظهر الكرسي وقالت:«يا له من مخيف الذي يتزوج ابنة السابعة عشرة.»

اومأت كاسي قائلة:«لا يمكن اعتبار مارلين غير ملومة تماما. اما ما الذي تريده من والدي، فهذا ما لا اعرفه. انه متألق وسخيّ.»

www.elromancia.com

تمتمت دولوريس:«يبدو انه مثل كاتر.» فجمدت كاسي ذاهلة، ادركت على الفور انه كان واقفاً خلفها مباشرة. لوحت دولوريس بيدها بإهمال قائلة:«لا تسيئي فهمي. انه لا يتصرف بحماقةٍ هنا وهناك. في الواقع، لا شيء يجعل الرجل مميزاً اكثر من المال. والآن بالنسبة الى ليون، فهو ليس بحاجة الى المال لأجل اي شيء. كيف تعارفتما، على كل حال؟»

توهج وجه كاسي:«حسنا، انني...»

قاطعها ليون من خلفها يقول:«لقد كنت نشرت اعلاناً في الصحيفة.» التفتت كاسي إليه بنظرة متوسلة، فأومأ برأسه ثم نظر الى كاتر يكرر كلامه بهدوء:«لقد كنت نشرت إعلانا في صحيفة تتعلق بشأن تربية الخيل. كان ان قرأته فيها صديقة لكاسي، فأجابتني عليه نيابة عن كاسي. في النهاية اقنعت الصديقة كاسي بالكتابة إليّ. وقد امضينا شهوراً نتبادل الرسائل، ومنذ اسابيع قليلة احضرتها الى هنا في زيارة. قررنا ان تصبح الزيارة هذه دائمة. وفي الواقع...»

تابع وقد عادت نظراته الى كاسي:«لقد نجحت الامور بشكل افضل كثيراً مما كنا نتصور.» وابتسم. كانت ابتسامته مليئة بالآمال فنهضت وسارت الى جانبه ترفع نظرات عرفان جميل إليه، ولم يلحظ أي منهما تلك النظرة الخاصة التي تبادلها كاتر وزوجته دولوريس. كانت نظرة أمل بقدر ما هي نظرة اهتمام.

الفصل الخامس

ارتدت كاسي ثوب الزفاف قبل أي شخص آخر في المنزل، بوقت طويل، طافت في غرفة الجلوس بين باقات الأزهار، تتنشق روائحها العطرة، محاولة ان تنبذ ما ساورها من شكوك ازعجتها، لم تكن لتلك الشكوك علاقة بزواجها من ليون او عدم زواجها، انها فقط تتعلق بما تقترفه من اكاذيب.

لقد كانت وعدت اخوتها بأن تهيء لهم منزلاً يعيشون فيه، وكانت تريد ان تنفذ وعدها ذاك فهي قد جاءت الى تكساس لهذا السبب في البداية. لكن ذلك كان في البداية فقط، فهل سيصدق ليون هذا؟ الافضل ان لا يعلم بذلك ابدا، وان تعيش مع هذا الشعور بالذنب بقية حياتها، على ان تخيّب أمله، ولكنها مع ذلك لا تستطيع ان تهرب من الشعور بأن عليها ان تخبره، ومن المضحك انها شعرت بشيء من الارتياح عندما وصلت في طوافها الى قرب الردهة فسمعت من الحديث ما عرفت منه ان ليون لم يخبرها هو ايضا بكل شيء، وكان كاتر يقول له:«ألا تظن ان عليك استدعاءهم اليك فيما بعد، على الأقل؟»

اجاب ليون:«كلا انهم سيعرفون قريباً، فأنا اريد قضاء بعض الوقت معها قبل ان ينقضوا علينا، وأنا لا اطلب الكثير، أليس كذلك؟»

«ولكنهم اسرتك، والدتك على الاخص، لها الحق في ان تعلم بزواجك.»

اجاب ليون بحدة:«لا اريد الإذن من والدتي كي اتزوج، او من أي شخص آخر.»

قال كاتر بدقة:«انكِ تعني ديل؟»

اجاب ليون متهكما:«ليس لدي ديل أي حق عليّ.»

«ولكن هذا ليس رأيه بالضبط، فما دام يعتبرك اخاه الاصغر، فمن واجبه ان يحميك من القيام بأي شيء...»

رد ليون ساخطاً:«لا اريد منه هذا، فأنا لست مجرد شقيقٍ بل انا رجل مستقل بنفسي، وأعمل ما أراه مناسبا، بما في ذلك الزواج، وهكذا ما يقول او يفعل لن يغير من الامر شيئا، يا كاتر. ليس من أجلي، على كل حال.»

اجابه على الفور:«من أجل كاسي.»

قال ليون:«نعم، كاسي، انك تعلم ما قد يفكر فيه او يقوله عن كل هذا، انني سألكمه على وجهه، يا كاتر.»

قال كاتر محذراً بلطف:«هذا سيكون عاجلاً أم آجلاً، يا رجل؟»

قال ليون بفظاظة:«فليكن آجلاً، إذن.»

ادركت كاسي من خطواته انه كان يقترب من الغرفة التي كانت تقف فيها.

تراجعت الى منتصف الغرفة حيث وقفت مشبكة

اليدين بهدوء، ألقى نظرة واحدة عليها وإذا بتجهم وجهه يتبدد، فشعرت بالأمان من نظرته تلك. لا بأس، قد لا يحبها شقيقه، ربما أسرته بأجمعها ستذعر عندما تعلم بأنه تزوج من امرأة تعرف اليها عن طريق الاعلان، وربما هما الاثنين، لم يكونا صادقين مع بعضهما البعض، لكن هذا لا يعني انه ليس عليهما ان يعيشا معا، مهما كانت اخطاؤها الاخرى، فزواجها من هذا الرجل هو الشيء الصواب، كانت تشعر بذلك، مهما كان رأي الآخرين، بمن فيهم شقيقه ديل. وقبل ان يتقدم نحوها إذا بجرس الباب يقرع، فجأة اندفعت دولوريس داخلة الى الغرفة وفي إثرها كان رجل الدين.

قبل ان تدرك كاسي ما كان يحدث لها، كانت تقف الى جانب ليون، ممسكة بباقة زهور بيد... مواجهة كاتر وزوجته، بينما ليون يضع في اصبع يدها الاخرى خاتم الزواج، ثم انتهى كل شيء، نظرت في عينيه المتألقتين وسمعته يهمس قائلا:«ها قد اصبحنا معا، على الدوام.»

ادركتٍ في هذه اللحظة ان كل مشاكلهما ستنحل تلقائيا، فهي لا يمكنها ان تصدق أي شيء آخر... كلا، لا يمكنها ذلك.

* * *

استعجل ليون بإخراجها من هناك، ففي سرعته هذه قلة لياقة، رافضا ما عرضته عليه دولوريس من تناول

www.elromancia.com

عشاء الزفاف، وذلك بكل ما امكنه من رقة، كان كاتر في النهاية، هو الذي إسكت زوجته إذ جاءها من الخلف، وهو يقول غامزا بعينه:«سنراكما فيما بعد.»
ضحك ليون وهو يدفع كاسي أمامه الى الخارج.
قالت كاسي عندما اصبحا بمفردهما:«ان ذلك ليس لائقا منك.» لكن تألق عينيها وابتسامتها الواسعة كانت تخالف معنى كلماتها.
سألها:«اتريدين ان تعودي إليهم؟»
ابتسمت وهزت رأسها نفيا.
«هيا بنا إذن.» قادها الى الشاحنة حيث فتح لها الباب لتصعد وصعد بجانبها وهو يقول:«لقد كاد يقتلني الانتظار.»
همست:«وأنا ايضاً، لكن الحق معك، إذ كان من الافضل ان نخرج.»
بعد ذلك شعر بأنه اسعد رجل في العالم، وان لا احد بإمكانه ان يجادله بما فعل وكيف. حسنا، ربما هناك شخص بإمكانه ذلك، وهو ديل، لكنه لا يريد الآن ان يفكر بديل أو اي شخص ما عدا عروسه. زوجته.انه رجل متزوج، شعر بروعة ذلك وهو يتجه نحو الفندق، وعندما وصل الى هناك، اوقفها متمهلاً قدر امكانه، مطفئا المحرك، ثم نزع المفاتيح، مبتسما بطريقة كان يرجو ان لا تظهر مدى اضطرابه، وادهشته هي بهدوئها.
في اليوم التالي كانت صوفي قد دعتهما الى

تناول الطعام في منزلها عندما علمت بالخبر.
قال ليون:«يناسبك ان تكوني وسيطة زواج، يا صوفي، وأنا سأكتب لك تزكية بذلك.»
قال الجملة الأخيرة وهو يغمز كاسي، فابتسمت هذه له وقد تملكتها سعادة لا تصدق.
بعد ذلك جال بها في المدينة، حيث أراها معالمها، مشيرا الى حيث مزارع الماشية التي تحيط بالجبال، واعدا اياها بأن يأخذها، قريباً جداً لكي ترى مرصد ماكدونالد الفلكي في جنوب شرق البلاد وكهوف كاريسباد في شمال جنوبها، ثم هناك مدينتا الباسو ومكسيكو، وبعد تلك الجولة الرائعة، عادا الى الفندق، حيث طلب منها ان ترتدي الثوب الذي كان اشتراه لها قائلاً انه يريد ان يتباهى بها بين الناس.
كان في نفس الفندق مطعم تعزف فيه فرقة موسيقية الحانا من اوروبا اللاتينية، ووصلا إليه متأخرين ما لفت اليهما الانظار حالما دخلا من الباب، كان الزوجان باترسون هما اللذان بادراهما بالتحية، ولكنهما سرعان ما وجدا نفسيهما محاطين بأصدقاء ليون، فقد كان الخبر قدانتشر، وقدم ليون كاسي بقوله:«عروسي الصغيرة.»
وبسرعة اخذ الزوجان باترسون يكرران التفاصيل لكل من لم يسمع بالخبر. ثم اخذا يستمعان الى الملاحظات المتعلقة بالزواج بواسطة اعلان، بمزاج حسن. لكن كما قالت سيدة، كان

من الصعب مناقشة النجاح البادي امامهم.
قالت دولوريس ما جعل كاسي تحمر خجلا:«يبدو واضحا انك سعيدة.»
قال زوجها:«او ربما هي حرارة الجو.» ضحك الجميع، ونظر ليون الى عروسه غامزا بعينه وعلى وجهه ابتسامة عريضة توحي بأنه لا ينقصهما شيء، فحاولت هي بدورها، وقد تملكتها سعادة طاغية، ان تريه بنظراتها، مبلغ حبها له.
في عصر اليوم التالي، عادا الى المزرعة، وقد اعتذر ليون عن قصر شهر العسل هذا، لكنها ضحكت وقالت له بصدق ان مجرد كونه معها هو شهر عسل بالنسبة إليها.
قال:«لكن لديّ عمل يجب ان اقوم به، يا كاسي... لو استطعت لبقيت طوال ايامي في شهر عسل، لكن مزرعتنا هذه بحاجة الى عناية دائمة.»
لكن مزرعتنا. لقد منحها كل ما انفق جهده على إقامته بكل سهولة، لقد كان كل ما امتلكاه هي وجوزيف، وهو قليل، قد اكتسباه، هما الاثنين، معا، لقد حيرها ان يبذل ليون كل ذلك الجهد في العمل ولمدة طويلة، وينجز كل ذلك بمفرده ومع ذلك يريد من كل قلبه ان يشاركها به بكل سخاء وحب.
قالت له بسعادة:«لا بأس، ستكون لدينا الايام نمضيها معا.»
«نعم، ستكون لدينا الايام على الدوام.»

ضحكت قائلة:«وبجانب ذلك، إذا كنت لم تلاحظ ان لدي الكثير من العمل، انا ايضا.»
«افهم ان لديك الكثير من اعمال المنزل لا اعرفها، وأظنك تجهزين الامور لاستقبال الصبي، أليس كذلك؟ ثم هناك شيء آخر، إذا لم تكوني مشغولة.»
رفعت رأسها ونظرت الى جانب وجهه:«وما هو؟»
اصلح من جلسته خلف عجلة القيادة، وقال مترددا:«لا اريد ان استمر في اخذ الدوش البارد كل يوم... فإذا امكنك ان تؤمني لي بعض الماء الساخن...»
اجابت:«يمكنني القيام بذلك.»
* * *
كانا سعيدين... سعيدين للغاية، ذلك النوع من السعادة الذي يشيع الرضى حولهما، كانت كاسي تمضي ايامها في تنظيم الخزائن، وصنع الرفوف، غسلت النوافذ والجدران والأرض ونفضت الابسطة، لكنها عندما سألت ليون عما إذا كان بإمكانها ان تطلي خزائن المطبخ وكذلك جدرانه، ضحك وقال انه بإمكانها طلاء كل ما تريد حتى نبات الصبار إذا كان هذا يسرها.
كان ليون متسامحاً في شؤون منزله، فقد قال لها انه لا يهتم بما تفعله في المنزل ما دام يجده مازال قائماً عندما يعود من عمله كل ليلة، وهكذا اخذت كاسي تنقل قطع الاثاث، كما نقلت بعربة اليد كل

www.elromancia.com

ما وجدته غير ضروري الى المخزن. كانت توسع المكان قدر الامكان، ولم يكن ليون من الغفلة بحيث لا يلاحظ ذلك.

فقال لها ذات مساء بعد ان سألته عن امكانية احداث مساحة اكبر في المنزل:«انني اعرف ان المنزل صغير، ولكنني انوي بناء ملحقات له قريبا، ولكن إذا كنت تظنين ان بإمكاننا الصبر قليلا بعد وصول بيتر الصغير، فأنا اظن ان من الحكمة ان نحصل على تلك المزرعة اولا، ان اطعام بقرة هنا يكلف كثيرا، وتربية كل رأس من الماشية يستحيل الى نقود تملأ جيوبنا، فالأسرة تحتاج اكثر من شخص واحد لإعالتها، وأظن ان علينا ان نفكر في ذلك.»

رسمت على وجهها ابتسامة مشرقة وأخبرته بأن الحق معه، طبعا، لكن الوقت الذي بإمكانها ان تحضر فيه اشقائها، احست به يزداد بعدا بدلا من ان يزداد قربا. الى متى يتمكن والدها من تحملهم؟ وهل هم سالمون الآن بالذات؟ هل يفتقدونها؟ هل ينامون كل ليلة وهم يظنون ان الغد هو اليوم الذي ترسل فيه بطلبهم؟ وحدثت نفسها بأنها قد اصبحت عاطفية اكثر من اللزوم، لكنها لا تستطيع ان تهرب من الشعور بأن غمامة سوداء تحوم فوق المها الذهبي السعيد.

لقد اتصلت دودي بها لتخبرها بأن الترتيبات لحضور نيوت بصحبة الطفل في الباص في نهاية الاسبوع

القادم، قد تمت، وهكذا لن يطول الوقت بها قبل ان يكون الاثنان معها. عزمت ان تقنع ليون بإبقاء نيوت هنا، لكن هذا يترك فريدي وبارت وكيلر وكول وحدهم مع تشينتز ومادلين، وهذا امر يقلقها، فالتوأمان لم يكونا من القوة بحيث يحميان الولدين الاصغرين، فقد اعتادا الابتعاد كلما تأزمت الامور، لكن هذا يترك فريدي وبارت وحدهما في مواجهة حقد مارلين وخساسة والدهما تشينتز. تذكرت نظارات بارت المكسورة وعضت شفتها، كيف سيتمكن من الرؤية إذا ما اطاح تشينتز بها مرة اخرى؟ وكيف سيتمكن فريدي من الاستمرار بالمزاح إذا ما ضربته مارلين؟ لكنهم بشكل ما، سيكونون على ما يرام، كان عليها ان تعتقد ان الغلمان سيكونون على ما يرام، وإلا فالذنب الذي تشعر به لهذه السعادة التي تتملكها بينما هم ما يزالون في ذلك الوضع البالغ السوء، الشعور بالذنب ذاك سيسحقها وسيدمر أي فرصة تسنح لإحضارهم ليعيشوا معها ومع ليون، عليها بالتعقل، عليها اخذ الامر برروية، ان تجعل ليون يعتاد على هذه الفكرة تدريجيا، انها ستقنعه، بشكل ما، بأن بإمكانهم جميعا العيش معا، وان الغلمان لن يسببوا له أي مشاكل، حتى الآن لا تدري كيف بإمكانها تنفيذ ذلك سوى بالاهتمام الذي ستغدقه عليه، كما وستريه مقدار المشقة التي تتحملها لكي تأخذ عنه اعباء المنزل.

عندما حان الوقت ليذهبا الى المدينة لملاقاة نيوت وبيتي، كان المنزل يتألق نظافة ونظاما.

قال ليون وقد اشرق وجهه بالابتسام:«حسناً، لا ادري عنك انت، ولكن بالنسبة إليّ فإن شهر عسلنا ما زال بعيداً من ان ينتهي.»

لقد كانت تبذل جهدها في ان تجعله يرى مبلغ سعادتها في استمرار شهر عسلهما، لكن رغبتها الأهم في تلك الاثناء، هي ان تكون في محطة الباص عند وصول ابنها، ولم يضغط هو عليها، إذ يبدو انه كان متفهما مبلغ لهفتها لرؤية ابنها لأول مرة بعد فراق دام حوالي الشهر، ويا ليته يعلم كم شعرت بالامتنان له لأجل هذا، لكنها لم تخبره. كانت تريد رؤية ابنها مرة اخرى، وان تتحدث الى شقيقها نيوت على انفراد قبل ان يقول لليون شيئا لا ينبغي ان يقوله...

اسرعا بالذهاب قبل موعد وصول الباص بوقت طويل، لكن بعكس ما كان عليه الحال ليلة وصول كاسي، فإن الشوارع لم تكن مهجورة. حالما دخلا المدينة، توقفت شاحنة كانت تسير في الطريق المعاكس ثم استدارت لمواجهتهما، كانت انوارها تنخفض وتعلو، وعرف ليون انها تعود الى شخص كانا قد تعرفا إليه في السهرة في الفندق بعد زواجهما، فأخرج ذراعه من نافذة السيارة وأشار الى الشاحنة لتتبعه. عندما توقفا في الموقف امام مقهى صوفي، كانت الشاحنة

الاخرى خلفهما مباشرة، كما كان الباص قد وصل ايضا، مبكراً عن موعده.

قال ليون وهو يفتح لها الباب:«إذهبي انت واستقبلي الطفل، ان لي كلمة مع هذا الشخص وسألحق بك بعد دقائق.»

ابتسمت كاسي، يبدو ان الحظ سيكون كريماً معها، اذ بإمكانها الآن ان تقول لشقيقها عدة كلمات مختصرة تحذره فيها قبل وصول ليون. نظرت الى زوجها بثيابه الانيقة، فبدا لها غاية في الوسامة، ما شعرت لذلك بزهو بالغ في ان تكون بجانبه، متلهفة الى ان يتعرف اليه نيوت وبيتي.

اسرعت الى خلف المبنى، وكان سائق الباص مشغولا برص نصف دزينة من صناديق الكرتون، يبدو ان مدينة فان هورن كانت مقصد عدة مسافرين هذه الليلة. لم تفكر في ذلك طويلا وهي ترى نيوت ينزل من الباص وبين ذراعيه بيتر نائما، انهما هنا، واندفعت الى الامام متلهفة الى معانقتهما، وإذ بشخص آخر ينزل خلفه، شخص عرفته للحال رغم انه كان من دون نظارات.

هتفت بصوت عال وهي لا تصدق عينيها:«بارت؟»

اتجه نحوها، وعلى فمه ابتسامة، ولكن قبل ان تتبدد الصدمة التي شعرت بها، إذ بصدمة اخرى، حيث ان التوأمين كانا يجران فريدي الذي كان يترنح، وكل منهما يمسك بذراع الآخر، وإذ بصوت نيوت يهتف

بها بصوت ابح قائلاً:«اخفضي صوتك يا كاسي، اتريدين ان توقظي الطفل؟»
اقترب منها وهو يبتسم معتذراً:«مرحباً يا شقيقتي، هل انت مندهشة لمجيئنا؟»
مندهشة؟ ووضعت يدها على رأسها، والفرح البالغ لرؤية هؤلاء الصغار، يتملكها ممتزجاً برعب لا يوصف، لم يكن يحتل عقلها سوى فكرة واحدة، الستة بأجمعهم! ولكن المعنى الفظيع لهذا لم يغب عنها، لقد علمت ويا لهول ما علمت، ان عالمها الصغير الرائع قد انحرف فجأة الآن ليصبح عالماً من مشاعر الريبة والشكوك والأسوأ من ذلك ان شكوك ليون هي حقيقية، ذلك انها منذ البداية، لم تكن تنوي حبه، فقد كانت تتملكها فكرة ايجاد مأوى لنفسها ولأسرتها وذلك مقابل خدمتها المنزلية له. لكن تلك الفكرة سرعان ما تبددت بعد لقائه به، وتعرفها إليه...
سقطت يداها الى جانبيها بإعياء، وتقدم نيوت منها وكان بيتر قد نهض قليلاً وتعلق بعنق خاله، عندما اقترب منها أدار وجهه إليها، ثم ابتسم ومد يديه اليها قائلاً:«أمي.» قال ذلك بصوت ناعس، وغمرها الحب، لابنها ولأشقائها ولزوجها فابتدأت الدموع تنهمر من عينيها، ثم صرخت وهي تختطفه اليها:«آه، بيتر.» وألقى برأسه على كتفها، كان ثقيل الوزن، لقد كبر ولم تره وهو يكبر، لكنها لم تستطع ان تفكر في هذا الامر الآن، لم تستطع ان تفكر في شيء على الاطلاق.

اقترب منها نيوت قائلاً:«لا بأس في حضورنا، أليس كذلك؟ ان هذا ما كنا صممنا عليه، وهو ان نعيش جميعنا هنا معاً، بجانب هذا فإننا لم نعرف ماذا نفعل غير هذا، لقد قال والدي انه لا يقبل بأن يعيشوا معه بعد الآن، كما ان دودي ليس لديها مكان يتسع لهم، لقد حاولت هي اقتراض اجرة السفر من العاملات معها، ولكنهن امتنعن عن إعطاء شيء، فقط مارجي قالت انها آسفة لأنها لا يمكن ان تعطي اكثر من عشرين دولاراً، لم يكن هناك من وقت للاتصال بك مرة اخرى. قالت دودي انه ربما كان مجيئنا هو الافضل على كل حال إذ لم تستطع ان تفكر في شيء تعمله غير هذا، اعتقدت بدوري بأنها على حق ما دمت جعلته يتزوجك كما قلت انك ستفعلين ذلك، لقد دفعت مبلغاً كبيراً من المال من جيبها الخاص قائلة بأن لا اخبرك، ولكنني تصورت ان عليك ان تعلمي، على كل حال، سيكون الامر على ما يرام، أليس كذلك؟»
رددت كلامه ذاهلة:«على ما يرام؟» عند ذلك تخلل مشاعرها شيء ما... بعد ان شعرت بحضور شخص ما، ليون... استدارت، وبيتر بين ذراعيها، كان واقفاً عند زاوية المبنى ويديه في جيبه، وقد فتح فمه قليلاً مبدياً الذهول.
قال نيوت:«كاسي.» جعلتها نبرة صوته والخوف مما قد يقوله، ان تستدير لتواجهه وهو يتابع:«لا بأس

في هذا أليس كذلك؟ لقد جعلته يتزوجك تماماً كما سبق وقلت...»

«نيوت.» لم تعرف ماذا تقول او تفعل غير ذلك، لقد شعرت بأن ليون خلفها، يتصور ويستنتج. بدا الآن كل شيء صريحا واضحا عندما تقدم كول ليقول متذمرا:«ماذا جرى؟ ألم تقل لنا انها وعدت بأن نعيش معهما؟»

انتقلت عينا نيوت من كاسي الى ليون ثم عادتا إليها مرة اخرى، ثم قطب حاجبيه قلقا والتفت الى كول بوحشية تقريبا:«اقفل فمك، وابقه مقفولا، انني وكاسي سنهتم بكل شيء، أليس كذلك يا كاسي؟» ونطق بالكلمة الاخيرة بكآبة وخوف وطفولة.

قالت بسرعة:«آه، نعم.» وتابعت بلهجة آلية:«يا لها من مفاجأة، ولكن... كان عليك ان تتصل بي اولا، فنحن... نحن غير مستعدين بعد... للإستضافة.»

حنى نيوت رأسه، وسمعته يهمس:«آسف.»

انهمرت الدموع على وجنتيها، وهي تغتصب ابتسامة، وانعصر قلبها وهي ترى التعاسة على وجه نيوت، على وجوههم جميعا، بدا عليهم الضياع، فهي كانت وعدتهم بالرعاية، وأغمضت عينيها لحظة، راجية بمرارة ان يتفهم ليون الوضع، مع انها كانت تعلم ان هذا لن يحصل، لكن مهما حدث فهي عند وعدها، فهم اشقائها. حملت بيتر على ذراعها الاخرى مرحبة وهي تقول:«لشد ما انا

مسرورة لرؤيتكم جميعاً.» سرعان ما هجموا عليها، اولا بارت وقد اشرق وجهه، ثم التوأمان ونيوت.

اما فريدي فتأخر عنهم، يفرك عينيه بقبضتيه ويجول بنظراته حوله، يبدو انه لاحظ راعي البقر ذاك الواقف عند زاوية المبنى، فقرر ان يجرب حظه معه، ورأته كاسي، وهو يتقدم نحو ليون، ثم وقف امامه رافعا رأسه ليقول:«مرحبا، انا فريدي.»

تمتم ليون مستنتجا:«واحد من الاشقاء؟»

كان فريدي قد رأى من الاخطار ما جعله يدركها على الفور، فالتفت ينظر الى كاسي قائلا وهو يتأوه:«انا تعب ولا استطيع التفكير في أي شيء مضحك.»

قال ليون وعيناه في عيني زوجته:«آه، لا اعلم، ألا يضحك الانسان دائما عندما يجعل من شخص آخر مغفلا.»

شهقت قائلة:«ليس الإمر بهذا الشكل.»

لكنه استدار مبتعدا، فأغمضت عينيها، وشفتاها ترتجفان، عليها ان تجعله يفهم الوضع، وانها بشكل ما، بطريقة ما، ستجعله يدرك مقدار حبها له، وسيتدبران امرهما، بأي شكل كان.

www.elromancia.com

الفصل السادس

اخذت كاسي تنظر إليهم مجتمعين في الغرفة الصغيرة وأذرعتهم محملة بالصناديق والصرر والكنزات المتسخة. كان بيتر يضع اصبعه في فمه، وشعره منسدل على وجهه. كان النعاس يثقل عينيه بحيث ساورها الشك في ان بإمكانه رؤية شيء.
كان لهذه اللحظة ان تكون حافلة بحب الأمومة وحنانها لولا زوجها الذي كان يغلي من الغضب. لقد كان اهتم بتحضير المولد الكهربائي عند خروجهما بعد الظهر وذلك ليؤمنا وجود النور الكهربائي عند عودتهما. ساورها شعور بأنه ندم على ذلك بل وندم على كل ما يتعلق بها. كان هذا شعوراً لم تستطع احتماله.
تقدمت بشكل بائس الى وسط المجموعة، تسوي من شعر هذا، وتربت على كتف ذاك. تمكن بارت من العثور على كرسي فتهاوى فوقه. كان وحده الذي لم يستطع ان يرى حجم بيته الجديد وذلك بسبب ضعف نظره. تقدمت نحوه تمر بأصبعها على حاجبيه، وهي تهمس:«ما الذي حدث لنظارتيك؟»
فهز كتفيه متلهفاً لمعرفة ما سيجيب به الآخرون وكان كل ما قاله:«في مكان ما.»
فقال نيوت باشمئزاز:«انها مارلين تلك.. لا بد انها

هي. انك تعلمين انه لم يكن يذهب الى أي مكان من دون نظارتيه، حتى انه كان ينام بها. وإذا به يستيقظ ذات صباح وقد اختفت. قالت مارلين انه لا يستطيع الذهاب الى المدرسة من دونها، كما قال والدي ان ليس بإمكاننا شراء واحدة اخرى، وان عليه أن يذهب الى الجمعية الخيرية للحصول عليها، ولكنني لم أدعه يذهب. لقد خشيت ان يأخذوه وذلك في الوقت الذي جهزت انت كل شيء لكي نأتي إليك هنا في تكساس.»
تنفست كاسي بعنف، بينما أرسل نيوت نظرة اعتذار نحو ليون الذي كان واقفاً عند العتبة وعيناه المليئتان بالاتهام لم تتحولا عنها، كما لم ينطق بكلمة واحدة. لكن صمته كان اكثر حقداً في أي كلمة كان سيقولها. اخذت تمد يدها المرتجفة على شعر بارت الذهبي القاتم وهي تطمئنه برقة كعادتها دوماً:«سيكون الامر على ما يرام. المدرسة لن تبدأ قبل اسابيع وأسابيع. سنشتري لك نظارات غيرها قبل ذلك. اعدك بذلك.»
كان هذا وعداً آخر عليها ان تجد طريقة للوفاء به. شعرت به وكأن حملاً ثقيلاً سقط على كتفيها. لكنها ستجد طريقة ما. على نحو ما. ولم تجرؤ على التفكير كيف. كما ان بارت اراد ان يتحدث عن اشياء اخرى، فسأل بلهفة:«كيف يبدو؟»
علم الجميع انه يسأل عن المنزل.

أجاب احد التوأمين وهو ينظر حوله:«انه صغير.»
قال نيون:«بل هو كبير بما فيه الكفاية.»
قال فريديك«انه مربع، ومنخفض السقف.»
ضحك الآخرون جميعا ما عدا ليون الذي لم يقل شيئاً انما كان فقط يحدق بها. حاولت تجاهله، لكن تضرعها الصامت لم ينفع. وحولت اهتمامها الى الوجه الماكر الناظر إليها، قائلة باهتمام:«انه ليس منخفضاً، يا فريدي، وانما هو مبنى من القرميد. لأن الجو هنا جاف، فالاشياء لا تنتفخ كما هي الحال عندنا في الجبال، وهذا كل شيء.»
«آه.» اخذ ينظر حوله باستحسان جديد. لكن فريدي كما هو معروف عنه، تابع يقول:«هل معنى هذا ان كل الناس ذات اشكال مسطحة؟» ففغرت كاسي فمها، بينما اخذ بارت والتوأمان يخفون ضحكتهم خلف ايديهم. لكن نيوت نظر الى ليون، ثم قال يزجر فريدي:«هذا يكفي، يا فريدي.»
رفع فريدي حاجبيه وألقى على نيوت نظرة لا يمكن تصور براءتها. غيرت كاسي الموضوع، قائلة بصوت مرتفع:«هناك غرفتان.»
فتح كول باب احداهما، وأطل برأسه الى الداخل، قائلا:«هذه فسيحة تماما.»
فعل كيلر نفس الشيء خلف الستار المسدل على الغرفة الاخرى، ثم قال:«هذه الغرفة ليست اكبر كثيراً من السرير.»

قال فريدي وهو يشير الى الجدار الشرقي:«لماذا لا يوجد نوافذ هنا؟»
اجابت كاسي:«هذا لكي يبقى المنزل بارداً اثناء النهار. هذا هو السبب في سماكة الجدران.»
قال كيلر وهو ما يزال يتفحص الغرفة الصغيرة:«يوجد نافذة هنا.»
قال كول:«وهنا ايضاً.»
قالت كاسي ما كان ليون قد سبق وقاله لها:«ذلك لكي تدخل شمس الصباح فتوقظك.» نظرت الى ليون، فرأت في عينيه اتهاما جديدا جعلها ترتجف، ثم تابعت قائلة:«هناك حمام، ايضا ومياه متدفقة لكنها غير ساخنة، كما... ان هناك غسالة كهربائية في الشرفة الخلفية، وهي متصلة بالبطارية بلوح شمسي.» استقبل الغلمان هذا الخبر بتعجب شديد، بينما تابعت هي تقول:«ثم ان ارض المطبخ خشبية لأن قبواً يوجد تحتها.»
قال بارت رافعاً وجهه إليها، محاولاً ان يتصور هذا:«وما ذلك؟»
قالت:«حسنا، هناك في الجبال عندنا غرفة مدخّنة لحفظ اللحوم وما أشبه. والقبو البارد نفس الشيء. انه عبارة عن غرفة محفورة في الارض تكون باردة ومظلمة. ونحن نضع هناك الطعام الذي يفسد سريعا. وبهذه الطريقة لا نحتاج الى ثلاجة. لهذا لسنا بحاجة الى إدارة المولد الكهربائي اثناء النهار.

www.elromancia.com

هنالك باب يفتح من الارض ويهبط الى القبو بسلم. كما هنالك باب آخر في الناحية الغربية من المنزل، كان في الايام السالفة يستعمل للهرب عند غزو الهنود الحمر. أليس ذلك عملاً ذكياً؟»

رفع بيتر رأسه قدر امكانه وهو يزعق حوله كما يفعل الهنود اثناء رقصهم.

كانت هناك قصة تمنت لو يحدثهم بها ليون، لكنها قالت:«سنتحدث... سنتحدث عن ذلك في وقت آخر.»

قالت هذا، يساعدها في ذلك نيوت الذي تغلب فيه الفضول على الاهتمام، فأخذ يسترق النظر الى المطبخ. ثم هتف يقول:«هه... لدينا هاتف.»

اندفع الجميع، حتى بارت الذي لا يستطيع الرؤية جيداً، الى حيث اخذو الهاتف. كما ان بيتر اصغرهم وابطأهم شق طريقه خلالهم الى حيث تمكن من الرؤية هو ايضاً.

قال كول:«حسناً، هذا مدهش حقاً.»

سأل بيتر:«وماذا يفعل الهاتف؟»

اجابه نيوت:«انه يجعلك تتكلم مع أناس في أمكنة اخرى.»

تأوه فريدي وهو يتراجع عن مدخل الباب، قائلاً:«من المؤسف ان ليس لدينا أحد نخابره.»

قال كيلر:«يمكننا ان نخابر دودي، وندعها تعلم اننا وصلنا بالسلامة.»

التفت نيوت إليه غاضباً:«لا تكن غبياً الى هذا الحد. ان مثل هذه المخابرات تكلف مالا.»

قالت:«إننا لن نخابر احداً. دودي لا تتوقع منا مخابرة، ولهذا فلن تقلق. انني سأرسل إليها رسالة. والآن لا اريد ان اسمع المزيد عن ذلك.»

قال كول شاكياً:«ولكن، يا كاسي...» عند ذلك دخل ليون الى المنزل، قائلا بصوت اكثر عمقاً ورزانة من العادة:«لقد حان وقت نومكم.» انزل بيتر اصبعه من فمه ونظر إليه بذهول.

شعرت كاسي فجأة بالخوف، والرعب. انها لا تستحق رجلا مثل ليون. انها لا تستحقه، وهي ستفقده الآن. فهو حسب ما علم عنها، لا يستطيع ان يحتفظ بها معه بعد الآن. لم تستطع ان تتصور ما كان ذلك يعني بالنسبة الى الغلمان. ارادت ان تنظر الى المدخل، لكن معرفتها بما سترى هناك منعتها من ذلك. كانت من الارتجاف بحيث لفت ذراعيها حولها لتمنع نفسها من ذلك.

حدثت نفسها، انتهى الحلم... انتهى. وأخذت تشير الى اماكن النوم:«سنضع فراش قش على ارض المطبخ لأجل نيوت ويمكن للتوأمين ان يناما في الغرفة الصغيرة، اما الاريكة فسنفتحها لأجل فريدي وبارت. اما الصبي...»

فقاطعها ليون بإيجاز:«يمكن للصبي ان يبقى معك.» ادركت ما يعني ذلك شاعرة بالبرودة الشديدة. انها

www.elromancia.com

إذا لم تبق مع ليون فلن يكون لديها وسيلة، تقنعه بأن يبقيها معه، ان تجعله يصدق حقيقة مشاعرها تجاهه.

استدارت إليه ولكنها لم تستطع ان تنظر في عينيه وهي تقول بلهجة حاولت جعلها مرحة:«لا تكن سخيفا. بإمكانه ان ينام مع نيوت او مع فريدي وبارت. نعم، ان الاريكة المفتوحة تلك تتسع لثلاثة، ثم.. ثم انهم اعتادوا البقاء مع بعضهم البعض، أليس كذلك ايها الغلمان؟ على كل حال، اين سترتاح...»

لقد اخطأت بقولها هذا، كان عليها ان لا تأتي مطلقاً على ذكر أنه قد يذهب الى مكان آخر. فقالت:«ان غرفتنا هي لأجلنا.» ولتجعل كلامها يبدو طبيعياً، ابتسمت بهدوء وهي ترفع نظرها إليه.

كان متسمّرا في مكانه لا تبدو الحياة سوى في عينيه. كانتا تتألقان بمشاعر جمة. ثم اغمضهما وهو يتنفس بعمق. عندما فتحهما مرة اخرى، لم يكن فيهما شيء، لا شيء على الاطلاق. فصعقت وكأنه صفعها.

«ليون.»

استدار وخرج من المنزل. لم يسرع. لم يتعجل في سيره. نظرت إليه مغادرا، ثم سمعت صوت الباب يغلق خلفه، ومن ثم كانت تحدق في اللا شيء. استمعت الى صوت وقع خطواته وهو يجتاز شرفة الباب الأمامي، ثم تلاشت تلك ايضا عندما وطأ

الرمال. لقد تركها، تركهم. توقعت ان تسمع صوت الشاحنة تتحرك، وركضت في أثره وقد تملكها رعب هائل. اخذت تحدق في الظلام فرأت الشاحنة، الى ان سمعت حركة من الجانب الآخر، فاستدارت لتجده يسير نحو مخزن الغلال.

شعرت بالارتياح، فهو لن يغادر المكان. بل كان يهجرها هي وليس المزرعة. ليس بإمكانها ان تدعه يفعل ذلك. كلا، لا يمكن. اخذت تركض خلفه، ووقع قدميها يماثل خفقان قلبها عنفا. لكنه إذا كان سمعها، لم يبد ما يشير الى ذلك. لقد بقي فقط يسير كرجل ليس لديه وجهة خاصة، او شيء يتركه وراءه. وصلت الى جانبه قائلة: ليون.» لا جواب.

وصل الى المخزن ففتح الباب ودخل ثم اغلقه خلفه. ففتحت الباب ودخلت هي ايضا.

كان واقفا وسط الارض الاسمنت، كانت نظيفة مثل مطبخ والدتها، وكان هذا امر يحيرها دوما بنظافته ونظامه. كان ليون واضعا يديه على وركيه وقد حنى رأسه.

همست:«ليون.. ارجوك.»

رفع رأسه قائلا:«إياك.. إياك حتى ان تحاولي. لماذا تضيعين وقتك؟ فأنا لن اصدقك على كل حال. وكيف استطيع ذلك؟»

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تهمس:«انني لم اكذب عليك. انني فقط لم اخبرك... بكل شيء.»

ضحك دون بهجة، وقال:«كلا ايتها السيدة. من المؤكد انك تركت الكثير. دعينا نرى، هناك نيوت، آه نعم، انك ذكرته. لا بأس. ولكنني لا اتذكر انك قلت انه كان يتوقع ان يعيش معنا. ثم بعد ذلك لم تقولي حتى ان هناك آخرين. كم عددهم، على كل حال، يا كاسي؟» استدار إليها وأخذ يعدهم على اصابعه.

«نيوت، بارت، فريدي، وطبعا التوأمان إنهم خمسة. هل نسيت احدا؟ آه، بيتر الصغير، كنت اعلم عنه. لكنهم... إنهم خمسة آخرون. فإذا كنت سأقبل بواحد، فما الذي يجعلني اقبل بخمسة؟» كان الآن يصرخ:«ما الذي كنت ستقومين به، يا كاسي؟ تسربين واحدا كل فترة؟ فتحضري كل واحد منهم لزيارة قصيرة لا تنتهي ابدا؟ ألم تفكري في انني سألاحظ هذا؟»

لم تقل شيئاً، وماذا عساها ان تقول؟ لم يكن يتوقع منها جواباً على كل حال.

عاد يقول:«هذا ما كنت تقومين به طوال الوقت توسعين المكان لهم، أليس كذلك؟ انك لم تكوني تؤسسين منزلا لنا، بل كنت تؤسسين بيتا لهم هم.»

همست متوسلة:«ليون. إنهم اخوتي.»

«وانت وعدتهم ببيت، أليس كذلك؟ اليس كذلك يا كاسي؟»

احنت رأسها:«نعم.»

«وأنت جئت الى تكساس لهذا الغرض، أليس كذلك؟»

لم تنطق بشيء، وماذا تقول؟

«انك حقيرة كاذبة ومخادعة... محتالة. انك لست كما كنت اظنك، يا كاسي. هناك كلمة تطلق على المرأة التي تهمل نفسها لتنال ما تريد، يا كاسي، كلمة إذا انا نطقت بها امام والدتي فسأتلقى صفعة منها. وهذه الكلمة تناسبك.»

لكنه لم يلفظ الكلمة تلك، وكانت شاكرة له ذلك وهي تكبح دموعها.

سكت بعد ذلك طويلاً، الى حد اخذت معه تتمالك نفسها وتفكر في كل ما عليها ان تقول، استجمعت شجاعتها، قائلة:«إنني آسفة، يا ليون. كان عليّ ان اخبرك منذ البداية، لكنني كنت اخاف من انك لن تستجيب إليّ إذا انا فعلت ذلك.»

قال معاتبا:«وهكذا فضلت ان لا تقولي شيئاً؟»

عادت تقول:«كنت خائفة.»

«خائفة من ان تفقدي طعامك؟»

«خائفة من ان لا تمنحني، فرصة نجرب فيها حظنا.»

قال بخشونة:«اخبريني يا كاسي. في ذلك النهار، يوم ذهبنا لنحضر رخصة الزواج، كنت مستعدة لأي شيء لو انني وافقت، أليس كذلك؟»

كانت تعلم ان جواب هذا السؤال كان بالغ الاهمية بالنسبة إليه، لكنها لم تعلم السبب تماما. ولما يهمها ذلك فقد كانت قد اعترفت بكذبها على

www.elromancia.com

كل حال. اخيراً رفعت اليه بصرها قائلة:«نعم.»
نظر اليها بعينين حادتين:«كنت مستعدة للقيام بأي شيء في سبيل اولئك الغلمان، أليس كذلك؟ أي شيء؟»
لم تفكر وهي تقول، رغم صوت خفي كان يحذرها من انها تدمر نفسها:«نعم، هذا صحيح ولكنك لا تعرف كم كانت امورهم سيئة في منزل والدي. كان بإمكاني توفير بعض الحماية لهم قبل مجيء مارلين، ولكن بعد ان تزوجت من والدي، خرج الأمر من يدي تماماً. لم تكن مارلين تريدهم في المنزل، وكان كل ما تريده مارلين تحصل عليه. لم يكن والدي يهتم بوجود الاولاد او عدمه، بعكس مارلين. فبدأت تضربهم وتتعس حياتهم، وانت سمعت ما فعلته بنظارات بارت. لقد سرقتها وأحدثت مشكلة وذلك لكي يرسلونه الى الميتم. وبذلك نفقده الى الابد. هذا ما كان سيحدث. فبدوني كانوا جميعا سيؤخذون الى المياتم الخيرية.»
تمتم يقول ما جعل غضبها يثور للمرة الأولى:«ربما كان ذلك هو الافضل.»
سألته:«كيف تقول مثل هذا؟ ان لديك اخاً اصغر، فماذا سيكون عليه شعورك لو ان احداً اخذه منك؟»
رد عليها بحدة:«شقيقي الاصغر بعمرك تقريباً.»
«وما الفرق؟ افترض انه بعمر بارت؟ او فريدي؟»
«لقد اهتم به أهلي عندما كان صغيراً.»

«حسناً،اهلي انا لم يفعلوا ذلك. والدتي توفيت ووالدي لا يهتم مثقال ذرة. وهكذا ترك الامر لي، لكنني لم اعرف ما عليّ ان افعل. كان عليّ ان اخرجهم من بيت والدي وأؤسس لهم بيتاً يعيشون فيه.»
زمجر قائلا:«وهكذا تزوجتني؟ كنت ستفعلين أي شيء لأجلهم... أي شيء حتى الزواج مني... حتى التظاهر بأنك...»
صرخت:«انني لم اتظاهر بشيء ابداً.»
تقدم منها خطوة وهو يقول:«ابدا؟»
تسمّرت في مكانها وهي تهز رأسها قائلة:«ابداً.»
حدق فيها طويلا، ثم حول نظراته عنها:«لا اصدقك.»
شعرت وكأن الارض مادت بها. فقالت بصوت خافت:«بل عليك ان تصدقني.»
هز رأسه:«عليّ ان اصدقك؟ كلا، لا استطيع ان اصدقك. لقد استغليتني، يا كاسي. لقد جعلتني اظنك تحبينني.»
«ولقد احببتك يا ليون.»
«آه، حسنا. لقد جئت الى هنا من بلدك بحثاً عن الحب إذن.»
ازدردت ريقها قائلة:«ليس تماماً.»
قال بحدة:«الحقيقة هي ليس تماماً. فقد كنت تخططين لهذا طوال الوقت، أليس كذلك؟ وذلك منذ اللحظة التي رأيت فيها إعلاني في تلك المجلة.»

www.elromancia.com

«كلا، وأقسم على ذلك. حتى إنني لم أر ذلك الاعلان. دودي هي التي رأته وأخبرتني عنه. لكنني تصورتك رجلاً معتوهاً ذا شعر طويل ولحية نابتة، او ربما عجوزاً، انها هي التي كتبت إليك اولا. وفقط عندما اجبتها على رسالتها، اخذت افكر في انك قد لا تكون ذلك الرجل المتوحش الذي يعيش في مكان نائي.»

«ولكنك تصورت انني كنت من اليأس بحيث اقبل بإعالة نصف دزينة من الاولاد.»

«كلا. لم تكن هناك قضية الاولاد ابداً، في ذلك الحين. انت بدوت شخصاً لطيفاً فقط. لقد احببت طريقتك في الكتابة. لذا فكرت في ان نتراسل، وهذا كل شيء.»

«ألم تفكري في ذلك الحين، في القدوم الى تكساس؟» بدا هذا سؤالاً غريباً، لكنها اجابت عليه بصدق كبقية الاسئلة:«كلا بالطبع. وكيف كان بإمكاني القدوم الى هنا؟ لم يكن لدي النقود التي تمكنني فعل ذلك، كما انك لم تكن دعوتني بعد.»

«ولكنني عندما دعوتك، ركضت لاغتنام الفرصة، أليس كذلك؟»

«انك تعلم بأنني لم افعل ذلك. خصوصاً في البداية، لكنني اخذت افكر في انني اصبحت اعرفك الى حد يمكننا فيه ان نجرب حظنا معاً.»

«ثم أخذ والدك تشينتز يسيء معاملتكم جميعاً

لأن مارلين ارادت طردكم من البيت، أليس كذلك؟»

اخذت تلهث، كانت خائفة ولكنها لم تكن تعلم مكمن الخطر:«كان والدي يسيء معاملتنا على الدوام. لكن بعد ان دعوتني انت مباشرة، اخبرني... حسناً، لقد طردني من المنزل انا وابني.»

«وإخوتك؟»

تنفست بعمق:«إنه... إنه لم يهدد بطردهم بالضبط، لكنه... لكنه قال ان مارلين تريد ان تعيش حياة زوجية طبيعية.»

قال ليون:«معنى هذا انه لم يكن يريدهم.»

ردّدت قوله بحزن:«نعم. معنى هذا انه لم يكن يريدهم.»

طوح يديه في الهواء، قائلاً:«وهنا، كان ليون الاحمق. هنا في هذه العشرين ألف فدان في تكساس، كان يعيش وحده، ينتظر من يلتقطه.»

اغمضت عينيها:«حسناً، هذا بالضبط ما فكرت فيه في البداية. لقد جئت الى هنا مصممة على ان اجعلك تتزوجني وبذلك احصل على مكان أحضر إليه إخوتي. لكن بعد ان قابلتك... حسناً، لقد كنت اكثر انسانية مما كنت اتوقع، ليست ابداً ذلك النوع من الرجال الذي يضع اعلاناً يبحث فيه عن زوجة. لقد ادركت ذلك على الفور. رأيتك رجلاً ممتازاً. رجلاً تفخر أي امرأة بأن تكون زوجة له، لكنك لم تعثر بعد على المرأة التي تعجبك. إذ بحياتك المنعزلة هنا، لم

تجد فرصة تتعرف فيها الى التي تناسبك. كما انك، كما يبدو، لم تعثر على من تناسبك في المدينة. لقد اردت فقط ان اجرب حظي معك، يا ليون، فهل هذا امر سيء؟ كنت اريد حظاً فقط... وبعد ذلك صرت اريدك انت بالذات.»

لكن وجهه كان لا يعرف اللين او الصفح، وطال به الصمت وهو يحدق فيها، ثم قال:«ان ما تعنيه هو انك علمت انني اريدك، ولكنك فقط لم تكوني واثقة مني. آه، كلا. ليس انا من يفعل ذلك. لقد كنت من الغباء بحيث لم ادرك ما تخططين له.»

«هذا غير صحيح.»

«غير صحيح؟ ألم تقولي منذ دقائق انك كنت ستقبلين بي كيفما كنت؟»

«انني لم اعن الامر بهذا الشكل، لقد عنيت بقولي ذلك انني كنت احببتك من أول...»

«حتى ولو كنت بدينا اصلع وأشياء اقبح من ذلك، فأنت كنت ستقولين نفس الشيء.»

«هذا غير صحيح. كنت عند ذاك اعرض كل شيء أمامك، كنت سأعقد معك صفقة تبادل.»

سألها:«لماذا لم تخبريني بالأمر؟ لماذا فقط لم تخبريني عن بقيتهم عندما اخبرتني عن ابنك؟»

قالت بقنوط:«كنت خائفة.»

«خائفة من انني لم اكن احبك بما فيه الكفاية لكي اقبل بشيء بسيط مثل اطعام خمسة افواه اخرى؟»

فهتفت:«نعم. كنت خائفة من انك لم تكن تحبني بما يكفي.»

قال بهدوء:«حسناً، ولكنني كنت احبك فعلاً.»

«وكذلك انا. فهكذا هو شعوري بالضبط.»

«بل انت لم تكوني تتطلعين الى العاطفة، يا كاسي. انما كنت تتطلعين الى بطاقة إعاشة لستة غلمان. حتى ولو كان العريس مجرماً، كنت مع ذلك ستتزوجينه لنفس الغرض.»

قالت والدموع تنهمر من عينيها:«ولكنه كان انت يا ليون. كان انت.»

قال بمرارة:«هذا صحيح. كان انا. وربما انت لم تأت طالبة العاطفة يا كاسي، ولكنني أنا كنت كذلك وهذه هي المشكلة.»

«كلا، هذا غير صحيح. اعني نعم. فأنا لم احضر الى هنا لأجل العواطف، ولكن...»

قال بكآبة:«إنك وجدت ما كنت تنشدينه، يا كاسي. وجدت رجلاً ضعيفاً ذا عينين متألقتين كالنجوم. اما انا فقد وجدت امرأة زائفة.»

«كلا.»

«كلا؟ لماذا لم تخبريني بالحقيقة إذن؟»

ارادت ان تصرخ بأنها كانت خائفة، ولكن ماذا يفيد ذلك؟ لقد حاولت ان تفسر له هذا منذ دقائق. ولم تعرف ماذا تقول بعد، كيف تقنعه بأن ما كان بينهما كان حقيقة وليس زيفاً. اقتربت منه خطوة،

elromancia.com

قفز متراجعاً الى الخلف وهو يقول متعبا:«اتركيني وشأني يا كاسي. اتركيني وشأني.»
كان حول عينيه ظلال. بدا وكأنه على وشك ان يغفو واقفا على قدميه. ربما راحة ليلة ستكون فيها فائدة لهما الاثنين.
سألته:«اين ستنام؟»
اجاب رافعا رأسه:«هنا.»
«في المخزن؟»
«لقد سبق ومكثت في أمكنة اسوأ.»
«ارجوك يا ليون... تعال معي الى المنزل.»
اومأ برأسه قائلا:«البيت لا يتسع لنا جميعا.»
«هذا لا يهم. يمكننا تدبير امورنا.»
اجاب:«لا اريد ان اتدبر الامر، يا كاسي. اريد فقط ان تتركوني بمفردي.»
فهمست:«ليون... ارجوك.»
أدار لها ظهره. ووقفت فترة محاولة ان تجد طريقة فعالة في التوسل، لكن لم يعد هناك ما يقال، وقد وقع الضرر. في النهاية، فعلت ما طلبه منها وتركته.
عندما صعدت الى شرفة المنزل الأمامية، ظهر نيوت من بين الظلال، وهمس:«كاسي، ألن يدخل المنزل؟»
اومأت برأسها وهي تبكي بصمت، فتأوّه نيوت قائلا:«لقد افسدنا الأمور بينكما، أليس كذلك؟»
حاولت ان تبسط أسارير وجهها وهي تقول:«سيكون الأمر على ما يرام.»

«انني آسف، يا أختاه. انا فقط لم اعرف ما ينبغي علي أن اقوم به.»
اخذت تربت على رأس شقيقها، مدركة مبلغ طول قامته الذي لم تلحظه من قبل، وقالت:«ستصلح الأمور.»
«ارجو ذلك. انه لم يكن يتوقع قدومنا، أليس كذلك؟ اعني، ألم يكن يعلم؟»
اومأت برأسها بأسف، وفجأة، لم تعد تستطيع تمالك نفسها، فأدارت رأسها واجهشت بالبكاء:«الذنب ذنبي انا. لم استطع ان اخبره. كنت خائفة من اخباره.»
همس يسألها بخشونة:«هل تخافين منه؟ هل يؤذيك؟»
اجابت وهي تجفف دموعها:«كلا، ليس الامر بهذا الشكل. ان ليون ليس مثل والدي، فهو لا يمكن ان يضربني ابدا. الأمر هو فقط... آه، كم افسدت الأمور، يا نيوت. لو انني فقط كنت اخبرته عن الاولاد الآخرين. اعلم الآن كان عليّ ان اخبره. لكنني كنت خائفة للغاية من ألا يصدق انني اريده هو. لكنه لا يصدق ذلك الآن على كل حال.»
اخفض نيوت يديه على جانبيه وهو يقول بنفس اللهجة التي ينهر بها كول بأن يقفل فمه، او كيلر بأن يسكت، ما جعلها تبتسم وجعل دموعها تعود الى مقلتيها، قال:«كاسي، وجودك هنا لا معنى له.»
فهمست:«لا استطيع تجنب ذلك. فهو رائع، يا نيوت. إنه رائع مثل جوزيف.»

www.elromancia.com

اخذ نيوت يصفّر برقة:«انك إذن تحبينه، أليس كذلك؟»
ضحكتٍ من خلال دموعها:«يمكنك ان تقول ذلك.»
«حسناً، وما هي المشكلة إذن؟ انه سيأتي لمصالحتك. أليس كذلك؟ هكذا كان جوزيف.»
قالت:«ربما، ربما لو كان جوزيف لفعل ذلك. ولكن جوزيف كان يعلم انني أحبه، يا نيوت ولم يكن عليه ان يتساءل عن سبب زواجي منه.»
قال نيوت بلهجة واقعية:«طبعاً لم يكن ليتساءل، فكل إنسان كان يعلم انك تزوجته للخلاص من قسوة والدك.»
«كلا، ليس الامر كذلك.»
لكن هذا كان صحيحاً. ويبدو انها كانت تتزوج أي شخص لسبب خاطىء على الدوام. لكن الامر نجح مع جوزيف. وكان بالامكان ان ينجح مع ليون، إذا اراد.
قالت لنيوت:«إياك ان تهتم بذلك. عليك ان تكون في فراشك الآن.»
لوى شفتيه قائلاً:«ان ارض المطبخ قاسية جداً، يا كاسي.»
«حسناً، لا بد انها كذلك. سنكوم عليها بعض الاغطية.»
«لم اجد اي اغطية باقية.»
قالت:«اذن نضع مناشف. ان لدينا مناشف جيدة يا نيوت. وهناك اكياس للنوم وبهذا تمر هذه الليلة. وغداً سأجعل احد الصغار ينام عليها، وتأخذ انت مكانه.»

قال:«يمكنني ان ابقى هنا على الشرفة. فأنا احب النوم تحت النجوم.» مال على حاجز الشرفة ينظر الى السماء.
فعلت كاسي مثله ثم قالت:«انني أعلم ما الذي تعنيه. ان السماء جميلة هنا وكان ليون يحدثني عنها في رسائله. لكن المرء لا يلمس جمالها الا إذا رآها. انها مرصعة... بالماس.»
قال:«نعم، الماس... الى الابد نعم، انها رائعة كم اتمنى لو اجمعها بيدي... لكن لا سبيل الى وصف روعتها على الورق. قد يلزم لذلك الدهان والحبر، لكن هذا فوق مقدرتي على رسمها.»
قالت بشغف:«آه، يا شقيقي الفنان الحبيب، كم انا مسرورة لوجودك هنا.»
قال:«هذا المكان هو الأصح والأنسب لنا، يا كاسي. انني اشعر بذلك في اعماقي.»
همست:«لقد فكرت في هذا، انا ايضاً. فقط لو ان...» وسكتت.
تابع نيوت:«انني شديد الأسف لما سببناه من ازعاج. لقد حدث كل شيء دفعة واحدة.»
قالت:«انني اعرف الآن، على الأقل، انكم جميعاً بخير.» اغمضت عينيها لا تريد ان تفكر في ما سيفعلونه او الى أين سيذهبون لو ان ليون طردهم. ثم عادت تقنع نفسها اكثر مما تقوله لهذا الغلام:«ستصلح الأمور... ستصلح.» لا بد من ذلك.

www.elromancia.com

الفصل السابع

ألقى ليون البطانية فوق المقعد عند البوابة، ثم ألقى بنفسه على اكياس القش. كان الألم الذي يشعر به كما لم يعرف من قبل، ولو استمر هذا الجرح في اعماقه، فهو سيتعب حتما إلا إذا تمالك نفسه.

لقد كذبت عليه، ومهما كان ما قالته الان، فهو لا يغير من الأمر شيئا. كل ما قالاه تلك الليلة بعد وصول الأولاد كان من الصعب التغلب عليه. الاشياء التي قالها لها! لم تفعل هي سوى الوقوف والاستماع إليه.

لكن ماذا بإمكانها ان تفعل سوى ذلك؟ فالحق كان معه. لقد كذبت وخططت في الخفاء، جاعلة منه اسوأ نوع من المغفلين. ومهما حاول، فهو لن يجد طريقة يخرج بها من هذه الفوضى التي هي زواجه.

بإمكانه ان يطلقها، بكل تأكيد حتى انه قد يحصل على قرار بفسخ الزواج.. لكن الى اين ستذهب؟ وماذا ستفعل؟ هذا كان السبب في أنه، برغم كل شيء، شحن الاولاد جميعا وأحضرهم الى مزرعته بارادايس. ما الذي كان يمكن ان يفعله غير ذلك؟ لا يمكنها ان تأمل في ان يعيلها هي وستة معها... ستة... غلمان هنا! إن فان هورن مدينة صغيرة ليس فيها الكثير من الاعمال. والموجود منها لا يدفعون لها اجرا فوق الحد الادنى. نفس الشيء هناك في وست

فيرجينيا، او لعله اسوأ، وإلا لما اختارت هذا الطريق اليائس. لقد فكر في ان يأخذها والاولاد الى مدينة الباسو ويدفع لهم اجرة منزل لعدة شهور. فحظها في ان تجد عملا سيكون افضل هناك. لكنها لن تحصل إلا على الحد الادنى من الاجر. مع ذلك، فقد يريحهم ذلك لفترة، هذا الى قدرتها على الاقتصاد. ذلك ان كاسي، على كل حال، ما هي إلا فتاة جبلية غير معتادة على نمط حياة المدينة.

حدث نفسه بأنه لا ينبغي ان يعتبرها مشكلة بالنسبة إليه. وأنها لا تستحق منه أي اهتمام بعد ان استغلته بهذا الشكل، لكنه لا يستطيع ان يجد طريقة يتركها فيها مع اولئك الغلمان ثم يعيش مرتاح الضمير. ليس الآن على كل حال. طمأن نفسه بأن في استطاعته ان يجد مخرجا له من هذه المشكلة، مع مرور الوقت وأثناء ذلك، سيبقى مخزنه هذا، وسيعيش منعزلا عن اولئك القاطنين في بيته، وذلك قدر إمكانه.

كان يعتقد بأنها تحبه. لقد أراد ان يعتقد بأنها تحبه، كان سيستمر في ذلك لو لم يحضر الغلمان بذلك الشكل المفاجيء ويكشفوا عن كل شيء بقولهم: (لقد جعلته يتزوجك، كما كنت قلت بالضبط. وقد وعدتنا بالمجيء اليك لنعيش معك).

كانت هذه الكلمات تتردد في ذهنه مرة بعد مرة. (إنك جعلته يتزوجك...إنك جعلته يتزوجك) تنهد، متمنيا ان يغفو ثم يستيقظ في الصباح ليجد ان كل ذلك لم

www.elromancia.com

يكن سوى حلم سيء. (إنك وعدت... إنك وعدت... إنك وعدت...) وهمس برقة:(لقد وعدتني بأن تحبيني وتحترميني.) ثم تملكه الألم، آه، ما افظع ان يعلم ان كل ذلك كان مجرد كذب.

لقد كانت كفؤا للغاية، ايضا وكذلك مقنعة. حاول ألا يتذكر ضحكاتهما معا. لم يشأ ان يستعيد ذكريات العشاء على ضوء الشموع، حتى هذا المخزن كان يحمل ذكريات حلوة، فهو لا يستطيع ان يتصورها على صهوة حصانها في المزرعة.لقد اعتاد ان يحلم دوما، اثناء عمله نهارا، بالعودة إليها لكي تخفف عنه اعباء النهار وتنير لياليه، لقد اعتاد على حبها في هذه الفترة القصيرة وذلك بشكل لم يبد انه سيتوقف، لكنه الآن يريد ان يتوقف اكثر من أي شيء آخر، لو أنه فقط يتمكن من تنفيذ قراره، لتوقف عن التألم والاحساس بالخديعة.

قالت انها مغرمة به، لكن ليس بإمكانه ان يصدقها الآن. الاغلب هو انها تشعر بعرفان الجميل نحوه لعدم تركه لها ولأولئك الاولاد وسط ذلك الطريق الترابي، لكن عرفان الجميل ليس ما يريده منها. فالتزلف والتذلل والعواطف الزائفة، كل ذلك هو البديل الآن لما يريده منها، هذا ما لا يقبله حتى ولو كانت قادرة على تفهم ذلك، فهو ببساطة، لا يمكنه العيش مع حب زائف. لا يمكنه العيش مع الندم وتبادل الاتهامات كما رآه فيها الآن. فالشعور

بالذنب لا يصلح اساساً للزواج، ومع ذلك، لا يبدو ان بإمكانه ان يدعها تذهب. ولا ان يتمكن من العيش مع هذه الآلام، لكنه يتحمل هذا الآن، وبجهد خارق. لا يهم كم من الوقت غفا، فقد استيقظ في الصباح شاعراً بالإرهاق واستنزاف القوى.

* * *

عند المساء فُتح الباب على اتساعه. لا شك انه احد الغلمان. ذلك ان كاسي اعتادت ان تفتح الباب الى الحد الذي يمكنها الدخول منه. تنهد كان متعبا بحيث لم يكن بستطيع النهوض والتشاغل. اطل نيوت برأسه قائلا:«مرحبا، يا سيد بارادايس.»

«نيوت.»

لم يستطع الفتى ان ينظر في عينيه، واستند الى البوابة، قائلا:«ان كاسي تريد ان تعلم ان كنت ستحضر الى المنزل لتناول العشاء هذه الليلة، قالت بأن إخبرك بأنها ستعد فاصوليا حمراء وسمكا مقليا متبلا بالبصل والفلفل الاحمر.»

جاء الاعتذار الى شفتيه بشكل آلي:«انني من التعب بحيث لن اتمكن من ان اجهز نفسي لتناول الطعام في المنزل هذه الليلة، سأفتح بعض المعلبات هنا.»

اومأ نيوت برأسه، لكنه لم يبد استعدادا للذهاب. «إن لديّ ما اقوله يا سيد بارادايس لقد اخذت كاسي تعلمني ركوب الخيل عند الصباح بعد ذهابك. اظن ربما بإمكاني الذهاب معك وبذلك اكتسب قوتي.

www.elromancia.com

وهذا بالتأكيد يجعلني راضياً عن نفسي، يا سيد بارادايس وقد يمكنني بذلك تقديم شيء من العون إليك. ليس في البداية، بالطبع، ولكن في أقرب وقت كما اتصور... هذا إذا سمحت لي بالذهاب معك.»

إنه إذن يتعلم ركوب الخيل؟ وتذكر ليون الأمسيات التي امضاها في تعليم كاسي ركوب الخيل. ابعد تلك الافكار عن ذهنه... ومعها نيوت بقوله:«الافضل ان تبقى هنا الآن لتساعد اختك.»

«لكن ليس هناك ما اقوم به لأجلها، يا سيد بارادايس، فليس هنا ما يعمله الرجل. هذا الى ان الامور كئيبة للغاية، يا سيد بارادايس حتى ان فريدي لم يعد يضحك او يمرح كعادته، وبارت لا يفعل سوى حشر أنفه في مجلاتك تلك يكاد يلصق عينيه بالصفحة ليرى الكلمات، دون ان يعرف نصفها ما جعل كاسي تطلب من التوأمين إخراجها من القاموس لأجله. كم يسبب الضجر مشاجراتهما على من يفعل ذلك. هذا الى انه لم يحدث ان فتح الواحد منهما كتاباً من قبل، فكل ما يتصورانه عن الكتب هو انها جُعلت ليضرب الواحد منهما الآخر بها.»

تمتم ليون وقد تملكه الفضول بالرغم منه:«ان عليهما ان يذهبا الى المدرسة، أليس كذلك؟»

قال نيوت عابساً:«حسناً، انهما لم يذهبا كثيراً السنة الماضية، فَقَدْ أضاع كلير حذاءه في المستنقع، وهكذا كان عليهما ان يشتركا بانتعال حذاء كول. وقد ظن

والدي ان هذا سيعلمهما درساً. لكنني احسب انهما كانا مسرورين بقضاء النهار في الجبال او على مقاعد الحدائق العامة.»

هز ليون رأسه:«يدهشني ان تتركهما كاسي يستمران في هذا التصرف.»

فكر نيوت لحظة، ثم قال:«اظن هذين الغلامين بحاجة الى يد قوية لرجل ما. كان بإمكان جوزيف ان يفعل ذلك. وكذلك والدي لو شاء ذلك ولا شك ان بإمكانك انت ذلك.»

هل كان في هذا الكلام نوع من التحدي؟ رفع ليون بصره، ثم عاد يخفضه وهو يقول:«ليس لديّ وقت اضيّعه على ولدين.»

قال نيوت برجاء:«ربما إذا سمحت لي بالخروج معك.»

فتح ليون فمه ليخبره بأن ينسى هذا الأمر، ثم عاد فأطبقه. ماذا يضر فيما لو أخذه معه؟ من الممكن ان لا يحتمل ذلك اكثر من نهار واحد، على كل حال. فالتجول حول المنزل هو شيء مختلف تماماً عن اعتلاء السرج ساعاتٍ طويلة، حيث يتنقل على الأراضي الوعرة، دافعاً الحيوانات الغبية ذوات القرون الحادة هذا إلى ان الأسيجة الممتدة نحو الشمال بحاجة الى إصلاح، وهذا عمل لا بد له من رجلين معاً. مال ليون الى الأمام، ومرفقاه على ركبتيه، ثم اومأ ايجاباً فامتلأ نيوت سروراً.

www.elromancia.com

قال ليون ببطء:«والآن إلزم مكانك، فأنت لم تسمع شروطي بعد.»

قال نيوت:«أي شيء تقوله، يا سيد بارادايس وبأي طريقة تريدها.»

نظر ليون إليه ببرودة، ثم قال:«ستسرج حصانك وتستعد للركوب قبل الفجر. ثم تحضر غداءك معك، وإلا فلن تأكل. وماءك وإلا فلن تشرب...»

«نعم، يا سيدي.»

تابع ليون يقول:«ليس هذا كل شيء، إنك ستحتاج الى قفازات للعمل وتلبس شيئا سميكا فوق كاحليك، وزوج واحد من الجوارب لا يكفي. ستقوم بكل ما اطلبه منك دون اسئلة حمقاء. هل فهمت هذا؟»

«نعم يا سيدي، يا سيد بارادايس.»

«حسنا، إنك ك ستكون بحاجة الى قميص طويل الكمين بياقة يمكنك ان تقلبها الى اعلى، ثم الى قبعة.»

«فهمت.»

استند ليون الى الخلف:«إذا لم تكن مستعداً للركوب في نفس الوقت الذي اكون انا فيه جاهزاً، فستبقى في المنزل.»

«سأكون مستعداً، يا سيد بارادايس فاعتمد عليّ.»

«سنرى، والآن اخرج من هنا لكي اظفر ببعض الراحة.»

تركه الفتى مطيعاً، وفك ليون سترته وقد نسي

عشاءه، خلع حذاءه ثم ارتمى على فراشه المؤلف من بطانية وكيس تبن، لم يكن يهمه نوع المنامة إذا هو استطاع النوم جيدا.

مع ذلك بدا النزول من فوق الكيس، في الصباح، غاية في الصعوبة. نزل الى الارض وهو يسعل ثم انتعل حذاءه.

افتقد إفطار كاسي، لكنه حاول ان لا يفكر في ذلك وهو يسير نحو الموقد في زاوية المخزن حيث وضع بعض القهوة في الإبريق ليغلي. ثم خرج ليريح عضلاته، مفكرا في انه من الحماقة ان يستمر في العيش بهذا الشكل بينما بإمكانه ان يستعمل المنزل في أي وقت، لكن رغم صعوبة ما يعانيه هنا، فهو أسهل كثيرا من جرح كبريائه. انه يريد ان يبقى بعيدا عن كاسي، فهو لن يستطيع احتمال نظرة الأسف والاسى التي ترمقه بها، الفضول في أعين اولئك الغلمان يبعث الضيق في نفسه. لماذا إذن ترك نيوت يلحق به هذا النهار؟ تجاهل هذا السؤال وهو يتجه نحو طاحونة الهواء ليغسل يديه ووجهه.

عندما عاد الى ناحية المخزن، انتبه الى شيء من الفوضى في المنطقة الشرقية من ساحة الماشية، لا شك ان نيوت يحاول امتطاء احد الجياد. فكر ليون في تقديم يد المساعدة له، لكنه عاد فقرر عدم القيام بذلك. انه لن يسقط في فخ تمثيل دور الوالد لأحد أخوة كاسي، دخل المخزن حيث سكب

www.elromancia.com

لنفسه القهوة وأخذ يرشفها اثناء حزمه بعض علب السردين والبازلاء واللحم وذلك مع بعض البسكويت والتفاح، لم تكن هذه وجبة شهية للغاية، لكنها كانت معقولة وسهلة التناول. غداً سيذهب الى القبو وذلك عندما يتأكد من عدم وجود كاسي لكي لا تلحق به لتعاود الاعتذار، لم يكن يستطيع سماع المزيد من اعتذاراتها.

سكب لنفسه المزيد من القهوة، ثم اخذ يتناول فطوره اثناء اسراجه لجواده. ثم سرح شعره بأصابعه، ليقود بعد ذلك الجواد الى حيث يستقبل الصباح. كان الظلام لا يسمح بسوى اول خيوط الفجر عند الافق. لم يلمح أثراً لنيوت، فساوره شعور بالغ الضآلة بخيبة الأمل، ثم ما لبث ان هز رأسه، أتراه من الشعور بالوحدة بحيث يرحب برفقة مراهق مزعج كذلك الفتى؟

نبذ هذه الخواطر وهو يضع قدمه في الركاب، ثم يقفز فوق سرج الحصان، مسوياً من جلسته وهو يمسك اللجام. انتبه الى حركة قريبة منه، فغمغم يقول:«أظننا، اخيراً سنظفر بمرافق.»

سار بحصانه نحو زاوية المرعى. كان نيوت بانتظاره هناك ممتطيا مهراً. كان خلفه ظلان لحصانين براكبيهما ايضاً، اول ما تبادر ان كاسي قد جاءت هي ايضا. تملكته للتو السعادة، لكنه سرعان ما رأى احد التوأمين، وأدرك ليون

من هو الذي يريد ان يأتي معه هذا الصباح. اخيراً قال لهما:«ما الذي اتى بكما؟»

تدافعا بالقول في وقتٍ واحد:«ما دام نيوت يستطيع الذهاب، فنحن ايضاً يمكننا ذلك.»

قال نيوت:«وقد تعلما الركوب هما ايضاً، يا سيد بارادايس.»

«يمكننا القيام بأي شيءٍ، وسترى.»

«إنه ليس اكبر منا كثيراً.»

عاد نيوت يقول:«انهما سيشغلان كاسي كثيراً هذان الاثنان، إذا ما مكثا في البيت كما انها بالغة العصبية.»

كان آخر ما قاله نيوت هو الذي سمعه ليون، في الواقع، وأدرك على الفور صحة ذلك. فقد كان هذا الاخير قد حدثه عن ان هذين الغلامين يلزمهما يد قوية، كان قد سمع كاسي تصرخ بهما عدة مرات، إحداها كما يتذكر، لأنهما رشقا بارت بشيء ما لم يستطع هذا الاخير ان يراه متجهاً نحوه لكي يتفاداه. سرعان ما نبذ ليون فكرة راودته في ان يأخذ بارت الى الباسو لشراء نظارات له. اخذ ينظر الى هؤلاء الثلاثة الذين يواجهونه، ماذا سيفعل بهم؟ بإمكانه ان يتحمل واحداً منهم، اما ان يأخذ الثلاثة فهذا منتهى الحماقة. لكن... ألا يمكن ان يلتهوا ببعضهم البعض، فيجنبوه بذلك الازعاج؟ ثم قد يصادفون الافاعي فيخلصونه منها. شعر بالاشمئزاز من

نفسه وهو يرى نفسه خارجاً مع هؤلاء الثلاثة الذين يعتبرهم خارجين على القانون.

تنهد وهو يرفع بقبعته الى الخلف ويتكىء على السرج بساعديه، قال:«لا بأس، الآن اسمعوا، لأنني لن اقول هذا الشيء اكثر من مرة واحدة. انكما ستفعلان ما تؤمران به منذ المرة الأولى، وإلا فستعودان الى البيت حالا. هل فهمتم؟»

«نعم يا سيدي.»

اجفلت الجياد الثلاثة، ثم صهلت وأخذت تقفز.

«كفى اقفلوا افواهكم من كل...» وأمسك عن التفوه بكلمات الغضب وهو يسيطر على جواده بسهولة. أما الثلاثة الآخرون، فقد وجدوا في ذلك بعض الانزعاج إنما ليس كثيرا. فقد كانت الجياد حسنة التدريب.

سار ليون أمامهم وهو يأمرهم قائلا:«اتبعوني، وحاولوا ان لا تدفعوا بمشاغباتكم الجياد الى ان تقتل واحدا منكم.» سمعهم يشتكون بعضهم بعضا وهم يتدافعون خلفه. فهز رأسه ثم تابع سيره دون النظر خلفه.

ذهبوا شرقاً، وكانت الشمس قد بدأت بالشروق، ثم استداروا شمالا. كان الغلمان يتفاخر الواحد منهم إزاء الآخرين، هامسين بصوت مسموع. لكنه تجاهلهم متابعا السير، وعندما وصل الى نقطة معينة وقف وانتظر وصولهم الى جانبه. لم يكن هناك سوى طريق واحد عبر هذا المكان، واحد نزولا

والآخر صعوداً، لكن طريقهم كان شديد الانحدار الى درجة خطرة. استدار على سرجه، ثم سمّرهم كل واحد منهم بنظرة فولاذية، يا لهم من فرقة متنافرة المظهر.

كان نيوت يعتمر قبعة من اللباد لا شكل لها، من قبعاته هو القديمة، كان يظن ان كاسي قد ألقتها في القمامة، كذلك القميص وبنطلون الجينز، واللذين كانا يمسك بهما حزام مقطوع. وحول كاحليه وحذائه كانت تلتف شرائط خرق عرف ليون انها من احد أثواب كاسي القليلة التي تملكها. للحظة خاطفة شعر بخيبة الأمل، ما لبث بعدها ان شعر بنوع من الارتياح الداخلي. لا بأس، فمهما كانت سيئاتها، فهي على الأقل غير انانية، كانت تمانع بكل جهدها في ان ينفق نقوده عليها، مدركا الآن انها كانت تضع جانبا ثيابه القديمة هذه لأجل اخواتها. لقد قامت بكل شيء لأجل اخوتها، حتى الزواج منه وهي لم تتردد لحظة واحدة في التضحية بثوب قديم في سبيل ان يمثل نيوت والتوأمان دور رعاة البقر.

ثم نظر الى التوأمين ولم يكد يصدق عينيه، واحد منهما كان يرتدي بنطلونا صوفيا محاكا باليد وقميصا قطنيا تحت قميص قطني ممزق حائل اللون، وقلنسوة لعبة كرة البيسبول وفردة من حذاء لا بد ان ليون كان يملكه عندما كان في سنه، ثم كبرت قدمه فلم يعد يناسبه، اما أخوه فقد كان يرتدي فردة

الحذاء الاخرى وكنزة ذات ياقة كبيرة فوق بنطلون كبير المقاس، وقبعة قش قديمة للغاية. كانت حول قدميهما الحافيتين شرائط من خرق مماثلة لتلك التي كانت حول كاحلي نيوت، تصور ليون أي شجار دار بينهما حول هذا الحذاء، والذي كان الحل الوحيد هو حصول كل منهما على فردة. انها كاسي... كاسي التي كانت تبذل جهدها بينهم، مضت لحظة... لحظة طويلة من الشعور بالخزي لم يستطع ان يتنفس فيها. اخيرا، لم يستطع الا أن يحوّل نظراته بعيدا عنهم وهو يقول راجيا ان لا يكون احد منهم قد لاحظ تغيّر صوته:«سأذهب انا اولا، وستتبعونني واحدا واحدا. كل واحد خلف الثاني تماما. والذي يتحوّل عن هذه الطريق الوعرة، يتعرض الى السقوط عن جواده وكسر عنقه. إذن، فافعلوا ما افعل انا تماما ولا اريد ان تتدافعوا لأجل الأمكنة، فهذه ليست لعبة.»

ثم تقدم الى الأمام دون إلقاء نظرة اخرى على أي منهم، سائرا ببطء وتمهل، وسارت الامور بشكل حسن، هبط ثم صعد الى ان اصبح فوق الحافة حيث تحوّل شمالا وخلفه حصانا بعد الآخر، كانوا يصعدون فوق مواطن اقدام صلبة وما ان تنفس بارتياح حتى سمع صرخة تبعها صوت ارتطام، فاستدار في الوقت المناسب ليرى احد الجياد يقفز بواحد من الغلمان، ثم لا يلبث ان ينطلق راكضا بأقصى

سرعة، وقد سقط سرجه بجانب الغلام على الارض. تملكه رعب هائل، أتراه قتل واحدا من اخوة كاسي؟ كانت هذه الفكرة، من الهول، بحيث لم يستطع متابعتها. ترجل الى الأرض، ولكنه ما لبث ان تنفس بارتياح بالغ وهو يرى الغلام يجلس متأوها. انطلقت من بين شفتي ليون، عند ذلك، كلمات لا هي اسبانية ولا هي تناسب مسامع والدته، وقد أثارت تلك الكلمات شيئين،الأول ارتياحه وهو يرى الغلام يتحرك، ثم رؤيته للسرج سليما، لماذا... لماذا لم يتأكد من ان هذين الوغدين يعلمان ما يفعلان؟ سار نحو الغلام، شاعرا بالغضب من نفسه، ثم مد إليه يده، وإذا بالصبي يجفل، ثم ينقلب ليجلس القرفصاء ناظرا إليه بحذر:«إذا ضربتني سأرد لك الضربة. اقسم على ذلك.»

يضربه؟ نظر ليون ذاهلاً الى وجه الصبي الأنمش والذي كان يظن انه سيضربه عقابا له على سقوطه عن الحصان. خطر في باله فجأة ان هذا بالضبط ما كانوا جميعا يتوقعونه منه. استقام في وقفته وأخذ ينظر إليهم واحدا واحدا، مستوعبا وجوههم القلقة المتحفزة للدفاع وقبضاتهم المتكورة. ان مجرد معرفته ان شخصا كان يضرب هؤلاء الغلمان لحادثة كهذه او حتى أقل منها، حركت قلبه ومشاعره، وكبح مظاهر العطف وتصرف نحوهم بالطريقة الوحيدة التي يعرفها.

وقف ينظر الى الغلام الحذر، ثم قال:«آخر مرة ضربت فيها صبيا، كانت عندما كنت انا صبيا، وعندما أضرب رجلا، ثق تماما بأن ذلك ليس إلا نتيجة استفزاز بالغ منه.»

عندها ظهر الارتياح على وجه الغلام، التفت الى نيوت والتوأم الآخر، وقال:«ترجلا من على هذين الجوادين، فأنا اريد ان اتفحص اربطة السرجين كما كان عليّ ان افعل منذ البداية.»

تبادلا النظرات، ثم ترجلا الى الارض، تفقد اول سرج ثم الآخر، حيث اخذ يشد اربطة كل منهما وهو يشرح لهما كيف يجب ان تكون. ثم سأل:«هل هناك من سؤال؟» فهز الثلاثة رؤوسهم. «حسنا، اصعدا ثم اذهبا لإحضار جواد... ما اسمك؟»

ألقى بهذا السؤال للفتى الذي سقط.

فأجاب هذا:«كيلر.»

اشار الى الغلامين الآخرين: امتطيا جواديكما واذهبا لإحضار جواد كيلر، فهو لا يمكن ان يكون قد ابتعد كثيرا من هنا، قفا أمامه فقط، ثم لوحا بذراعيكما نحوه. عند ذلك سيستدير عائدا الى هذا الاتجاه. فقوداه مباشرة الى هنا وأنا سألقي عليه انشوطة.»

كانا قد استويا على سرجيهما، فتابع يقول:«لا تغامرا بأي عمل. فإذا لم تجداه، عودا الى هنا، هل سمعتما؟»

نادى نيوت قائلا:«نعم يا سيدي.» ثم همز جواده

منطلقاً في الطريق التي كان ذهب فيها الجواد الهارب.

صاح ليون خلفهما:«ولا تجتازا المكان الذي جئنا منه مرة اخرى.»

لوحا بذراعيهما له منطلقين في طريقهما.

لاحظ ليون ان نيوت كان مستقرا في جلوسه تماماً بينما كول كان متشبثا بمكانه، فقرّر ان يعطيه بعض التعليمات فيما بعد. لكنهما كانا من الجرأة بحيث يصبحان فارسين ممتازين كشقيقتهما، لكنه لم يفكر فيها اكثر من هذا، التفت الى كيلر يسأله:«هل انت بخير؟»

اومأ الغلام برأسه وهو يتمتم:«آسف.»

سأله ليون:«لماذا الأسف؟ لقد قمت بكل ما طلب منك. اما عدم تفحص اربطة السرج فهو خطأي انا، كان يجب ان اتأكد من انك كنت تعلم ما تفعله، وأنا مسرور جدا لأنك لم تكسر عنقك.»

بان الاضطراب على الصبي، ما جعل ليون يقهقه ضاحكا، ثم يتوجه الى سرج جواده حيث احضر من الجيب حبلا، ثم سأل الغلام:«هل تعرف كيف تلقي بأنشوطة؟»

«كلا يا سيدي.»

«حسنا، انتبه جيداً إذن، وسأريك كيف تضعها.»

امضيا الدقائق التالية يتحدثان في هذا الشأن ثم إذا بصفير نبّههما الى عودة الغلامين الآخرين،

www.elromancia.com

وهما يسوقان امامهما الجواد الشارد. امر ليون الصغير كيلر بأن يبتعد عن الطريق، ثم تثبت نفسه، وعندما مرّ الجواد ألقى على رأسه بالأنشوطة. وقف الجواد وهو يصهل ويحرك رأسه بعنف لكن ليون اخذ يتحدث إليه بلطف وهو يربت على عنقه يهدئه قبل ان يبسط البطانية على ظهره، وبعد عدة دقائق رفع السرج ووضعه مكانه، ثم تراجع الى الخلف مشيراً الى كيلر كي يستلمه منه.

كانت نظرات الغلام التي رمقه بها، كلها اعجاب، ولم يستطع ليون مقاومة وضع يده على كتف الغلام. ارتسمت على وجه الغلام ابتسامة عريضة وهو يتحوّل الى العمل.عندما انتهى، ربت ليون على كتفه مرة اخرى، ثم عاونه على الصعود فوق السرج.

عندما عادوا يسيرون شمالاً مرة اخرى، كانت الابتسامات المشرقة تكسو الوجوه. كانت ابتسامة ليون اوسعها، لم يعد يفكر بعد الآن في القائهم في مدينة الباسو حيث يتركهم وشأنهم، وبدلاً من ذلك اخذ يفكر في عدد ما يحتاجونه من احذية وقبعات وسراويل جينز، وما هي الدروس التي تلزمهم، ومتى يكون البدء بها، فكر ايضا، في ان تلك الفدادين الثمانية التي سيشتريها يمكنها ان تنتظر، وأخذ يرجو ان تكون كاسي تمكنت من الاقتصاد في النفقات كما يعرفها.

عادوا في ذلك المساء، اربعة عمال متعبين قذرين

يجرون أقدامهم جراً، لكن ليون لم يقف إلا بعد ان تلقت الجياد العناية اللازمة، ثم دفع برفاقه الثلاثة الى الحوض الذي يشرب منه الجياد امام المخزن، وحاولوا هم ان يغرقوه بالقاء المياه عليه، بينما اخذ هو يضحك كما لم يضحك منذ وقت طويل.

«أرى من الافضل ان احضر صابون.»

التفت وقد تلاشى ضحكه، وإذا به يرى كاسي تحمل صينية صفت فوقها علب مرطبات.

اشاح بوجهه عنها وأخذ ينادي:«لقد احضرت لكم شقيقتكم شرابا، ايها الفتيان. فاخرجوا من الماء قبل ان تتلفوا احذيتكم.» اخذ يساعد كل منهم في الخروج من الحوض، فاندفعوا والماء يقطر منهم وابتساماتهم واضحة على وجوههم.

قالت كاسي:«لم ار من قبل مشهداً كهذا، خذوا شرابكم الى الباب الخلفي واخلعوا ملابسكم وضعوها في الغسالة. ثم ادخلوا الحمام. فقد سخنت المياه.»

هتف التوأمان بصوت واحد:«آه، كلا يا كاسي نريد ان نقف تحت الدوش مثل ليون.»

اومأت برأسها بعناد:«بل يجب ان تغتسلوا في حوض الماء الساخن. وإلا فستؤلمكم الحركة فيما بعد.»

قال ليون يأمرهم بهدوء:«افعلوا ما تقوله لكم شقيقتكم.» سار الغلمان متذمرين نحو خلف المنزل، بينما قدمت كاسي إليه بقية الشراب بيدها، لكنه اومأ برأسه نافيا.

همست:«اشكرك، على كل حال.»
نظر إليها بطرف عينيه قائلا:«على ماذا؟»
«لأخذك الغلمان معك، كانوا متلهفين للذهاب.»
اومأ برأسه:«ليس ثمة مشكلة، لقد رحبت بمساعدتهم لي.»
لاحت على شفتيها شبه ابتسامة:«يمكنني ان اتصور كم ساعدوك.»
حاول ان لا يبتسم هو يقول:«لقد استطعت ان استخلص منهم بعض العمل.»
قالت ببساطة:«هذا حسن.»
تذكر المزاح الذي اعتادا تبادله وذلك قبل ان يجد سببا يجعله يعتقد بأنها غير مخلصة، وتملكه الاشمئزاز، ثم قال لها فجأة:«ادخلي الى المنزل، إذا سمحت، فأنا اريد ان آخذ دوشا.»
تلاشت الابتسامة عن شفتيها، بيما أشاح هو بوجهه. عندما استدارت للدخول احس بأنه لا يستطيع ان يدعها تذهب، لكن كبرياءه جعله يسألها بسرعة، مدعيا انه لا يتحدث عن نفسه:«هل هو والدك الذي كان يضربهم؟»
وقفت وعادت تستدير إليه قائلة:«كيف عرفت بذلك؟»
ضاقت عيناه فهو لا يريد ان يرى مبلغ ما تبدو عليه من جمال في ضوء النهار الشاحب.
«لقد سقط كيلر، وعندما حاولت مساعدته، نهض وهو يترنح قائلا انه سيرد لي الضربة. فهمت انه

كان يتوقع مني ان اضربه، وذلك النوع من التوقعات يأتي نتيجة التجربة. كان هو والدك، أليس كذلك؟»
اومأت برأسها، محوّلة عينيها عنه وكأنها تشعر بالخزي، ثم قالت برقة:«كنت اظن ان كل الآباء يضربون اولادهم. ولكنني عندما تزوجت جوزيف، وجدت الامر غير صحيح، فقد وضع نهاية لذلك وقال لوالدي انه سيضربه بشدة عند كل مرة يضرب فيها والدتي او احد الاولاد. كان سيفعل ذلك حتما.»
تاهت عيناها في الذكريات وهي تتابع:«ظهرت على والدتي، عند ذلك، سعادة لم أرها على وجهها من قبل.»
يبدو انها كانت كذلك هي ايضاً، ولأول مرة يشعر ليون بوخز الغيرة من جوزيف هانتر.
قال محاولا تغيير الموضوع:«وماذا حدث بعد ذلك؟»
هزت كتفيها وهي تجيب:«لقد توفي جوزيف، ثم مرضت والدتي ولم يحب والدي ان يراها وهي تذوي شيئا فشيئا، فأخذ يمضي كل اوقاته خارج المنزل. بعد ان توفيت هي ايضا، تعرف على مارلين وتزوجها حال وفاة والدتي، ان تعلقه بها يبدو واضحا فهو لا يرد لها طلبا. لم تعجب مارلين الحياة مع اولاد زوجها، وأخذ صبرها ينفد يوما بعد يوم، كما وان والدي أخذ يزداد خشونة.» وقفت تنظر طويلا الى الارض، لكن ليون شعر بأنها لم تنته من كلامها. اخيرا، همست تقول:«كان عليّ ان اخرجهم من

البيت، وعرفت انك اشبه بجوزيف منك بوالدي.»
«وكيف عرفت ذلك؟»
قالت برقة:«من رسائلك. الطريقة التي كتبت بها عن هذا الفضاء الواسع، جعلتني اعلم بأن لديك قلبا واسعا مفتوحا، كنت اعلم بأنني سأجد شخصا غير عادي.»
فقال:«تعنين انك كنت تعلمين بأنك ستجدين بطاقة طعام مجانية.» وسرعان ما ندم على قوله ذاك دون ان يكون بإمكانه استعادته.
تراجعت خطوة الى الخلف وكأنه صفعها على وجهها، ثم اخذت تحدّق في الفضاء. كان على وشك الاعتذار، عندما فردت ذراعيها كطائر مذعور، ثم اخذت تقول بصوت شعر هو انها تريده ان يبدو طبيعيا:«الطعام جاهز، إذا لم تشأ ان تدخل المنزل لتأكل، فدعني على الاقل، ارسل لك عشاءك مع نيوت.»
قال بصبر بالغ:«لا بأس. إنه طعامي على كل حال.»
عضت شفتها وقد اغرورقت عيناها بالدموع:«ليون انني اعرف انك تريدنا ان نرحل و...»
قاطعها بحدة:«ارسليه إليّ عندما يصبح جاهزاً.»
اومأت برأسها وهي تتجه نحو المنزل. أراد ان يمنعها من تكملة كلامها وان يجعلها تذهب في نفس الوقت، كان الألم يمنعه ولكنه اخيرا، لم يستطع ان يدعها تذهب بهذا الشكل، فناداها:«كاسي.» فوقفت تنتظر.
«انا والأولاد سنذهب الى المدينة غداً.»
استدارت إليه والخوف في وجهها:«إنك لن...»

تابع يقول بخشونة:«اننا بحاجة الى بعض الاشياء، لا يمكن ان يذهبوا الى العمل بمظهر المتسولين، فإذا كانوا يريدون العمل فهم يستحقون معدات لتساعدهم على ذلك.»
تحول الخوف في عينيها الى رقة، الى عرفان الجميل، ولكن ليس هذا ما كان يريده منها. وتابع يقول:«ان نيوت سيساعدني في تجهيز غرفة حفظ الاطعمة للنوم، فأنا سأكون بحاجة الى سرير، لقد ارهقني النوم على القش.»
تملكته الدهشة وهو يرى عرفان الجميل يتحوّل بسرعة الى... غضب... لماذا؟ لقد كان بالغ الكرم نحوهم.
قالت بحدة:«حسنا جدا.» واستدارت مبتعدة وهي تتابع:«اشتر لنفسك سريرا، إذن و... وارقد فيه، فهذا لا يهمني.»
نظر إليها ذاهلاً، من بإمكانه ان يفهم المرأة؟ ليس هو بكل تأكيد وإلا لما كان في مثل هذه المشاكل، إلا إذا... ولكن لا... لا يمكنه أن يصدق انها تريده حقا ان يعود. لكن، لا يمكن ان يكون تصرفها كله تظاهرا وادعاء، حتى ولا شيء ابدا يستطيع ان يقنعه بأنه كان كذلك، إن عليه ان يفكر في ذلك... فيما بعد، عندما تصبح الحقيقة اقل إيلاما. هذا إذا كان ذلك اليوم سيجيء حقا.

الفصل الثامن

عندما تصاعد رنين الهاتف، قفزت كاسي على الفور الى الاستنتاج بأن الشاحنة تعطلت، او انه قد وقع حادث، انه احد إخوتها، او ربما قام التوأمان بعمل احمق فتعرضا الى القبض عليهما. لكن الاسوأ هو إذا كان ليون قد شعر بالاشمئزاز من الامر كله ويريدها ان تحزم امتعتها لكي ترحل عند عودته الى المزرعة. كانت الامكانيات مفزعة... او هكذا حدثتها نفسها وهي تتقدم مترددة نحو سماعة الهاتف.

«آلو.» بدت التحية خجولة حتى في أذنيها، تبعها صمت طويل، وأخيرا تنحنحت امرأة وهي تقول:«آه، المعذرة. لا بد انني طلبت رقما خطأ. كنت اطلب مزرعة بارادايس.»

كان استنتاجها الأخير الآن سخيفاً هو ايضاً، لكنه لم يبد لها كذلك. فهذه المرأة لم تكن والدة ليون. فقد كان الصوت لفتاة شابة... او امرأة غير واثقة... امرأة صدمت وهي تسمع صوت امرأة اخرى على الخط. لا بد انها صديقة قديمة لليون... وربما ليست قديمة جدا. تملكتها الفكرة فقالت بلهجة ذات معنى:«الرقم صحيح. ولكن ليون ليس هنا حاليا. فقد ذهب الى المدينة.»

ساد صمت طويل آخر، كانت كاسي تتساءل اثناءه

عما إذا كان عليها ان تقول اكثر من ذلك. بإمكانها ان تخبرها بأنها زوجة ليون، ولكن، هل هي حقا كذلك؟ لا يبدو عليه انه ما زال يعتبرها كذلك. هي غير متفائلة بالنسبة الى تغييره لرأيه قريباً. كانت في الواقع، تتصور انها تعيش الآن هنا بشكل موقت. فهي لم تكن تشك في انها ستجد نفسها، اخيرا، امرأة مطلقة، وذلك عندما يستطيع ان يحمل نفسه على ذلك. ان قلبه الرحوم، ونفسه الخيّرة منعاه من ذلك حتى الآن. وهذا هو الامر. فليس بإمكانها ان تفسد عليه حظه مع امرأة اخرى. وهكذا عندما قالت المرأة بحذر:«هل يمكنني ان اعرف من هي المتكلمة، من فضلك؟»

تجاهلت كاسي هذا السؤال وقالت:«هل يمكنك ترك رسالة للسيد بارادايس؟»

احست بقنوط المرأة، ولكنها احست ايضاً بأنها لا تريد ان تمنحها المعلومات التي تريدها. وكانت على صواب لأن المرأة قالت:«كلا، شكرا.» ثم وضعت السماعة. والآن، ماذا ينبغي ان تخبر به ليون؟ عندما وقفت الشاحنة امام الباب، كانت قد قررت ان تخبره بالمكالمة بشكل عادي. ولكن مضى بعض الوقت قبل ان تسنح لها الفرصة لذلك. فقد بدا وكأنه اشترى المتجر بأجمعه. كان الاولاد في فرحة طاغية وهم يتحدثون عن كل شيء بالتفصيل. لم يهمل ليون الولدين الأصغرين. فقد اشترى لهما

قمصاناً وسراويل جينز، حتى الاحذية. لقد دخل المنزل ليرى ان كانت القياسات تناسبهم. كان كل شيء كبير القياس. ولكن عندما اقترح إعادة الاحذية على الأقل، علا صراخهم ما اسقط هذه الفكرة. اما كاسي فلم تكن تستطيع الكلام.

اخيراً قالت:«ما كان لك ان تفعل كل هذا. فأنت لست مديوناً لنا بشيء.»

قال:«هذا صحيح. فأنا لست مديوناً لكم بشيء.» ثم خرج من الباب مبتعداً ولحقت به:«ليون...»

«إن لدي الكثير من العمل قبل ان ارتاح، يا كاسي. هل لك أن ترسلي نيوت ليساعدني؟ إننا سنتشارك في المخزن... لفترة ما.»

فهتفت:«هذا ليس ضرورياً، إذا كنت لا تريد ان تعود الى المنزل، فسأقيم انا في المخزن.»

وقف ينظر إليها، قائلاً:«وترهقينني بذلك العبء من تلك المجموعة المتوحشة؟ لا تحلمي بهذا طوال حياتك.» تابع السير مسرعاً. وركضت هي خلفه لتوقفه، استدار إليها وقد توهج في عينيه الغضب، فقالت بسرعة:«هناك امرأة اتصلت بك.»

حملق فيها:«من هي؟»

«لا... لا أدري. انها لم تذكر اسمها.»

فعاد يحملق فيها:«آه، ربما هي والدتي. حسناً، هذا ما كان ينقصني الآن. انهم سيكونون هنا غداً صباحاً، دون شك. وبنظرة واحدة سيعلمون جميعاً...»

قاطعته قائلة:«انها لم تكن والدتك. على... على الاقل لا أظنها هي. فصوتها فتي... أكثر فتوة من ان يكون صوت والدتك.»

رفع حاجبيه:«هل انت واثقة؟»

حاولت التذكر اكثر، وعندما عادت ترفع نظرها إليه، كانت نظراته في مكان آخر. وقالت:«إنني واثقة.»

لمعت عيناه للحظة قصيرة، ثم اومأ برأسه. اطبق فكيه ثم مال ليقف على قدم واحدة. وأخيراً قال:«لا بأس. انها لم تكن والدتي، هل أصرت على... ان تعرف من أنت؟»

فكرت بسرعة، ثم هزت رأسها:«لقد سألتني ولكنها لم تصر على ذلك.»

ثار غضبه مرة اخرى، وسألها:«ماذا كنت ستقولين لها؟»

رفعت عينيها الى عينيه ولم تحولهما، متسائلة عما إذا كان بإمكانه ان يرى انه يحطم قلبها. من الواضح أنه لم يكن يريد ممن لم يكن علم بزواجهما ان يعلم به الآن، وخصوصاً أسرته. نعم، من المؤكد ان الرجل يستعد للطلاق. حسناً، لا يمكنها ان تشكو. رغم انها لم تكن قد تزوجته بادعاء زائف... ولكن لديه كل الأسباب التي تجعله يعتقد ذلك. هذا الى أنه، كما قال، غير مديون لهم، ولها بشيء. وقالت تجيبه:«لا شيء. فقد تصرفت وكأنني لم أسمعها، ثم سألتها ان كانت تريد ان تترك لك خبراً، فقالت كلا.»

بدا انه تقبل ذلك، فقال باختصار:«يبدو انها جاني

زوجة أخي. الافضل ان أرد على مكالمتها قبل ان يظهر أخي بكلامه الحاد كالسكين، على عتبة بيتي.»
قال ذلك ثم عاد يدخل الى المنزل. تبعته كاسي وقد ساورتها الافكار. ما الذي سيخبر زوجة أخيه عنها؟ في ثوان، كان يتحدث في الهاتف باسما، وهو يقول:«جاني؟ كيف الحال، يا فتاة؟»
تحركت كاسي في انحاء الغرفة محاولة ان تبدي الانشغال، لكنها بقيت قريبة منه. وألقى عليها ليون نظرة ثم قال:«نعم لقد تلقيت الرسالة.» ثم أدار ظهره الى كاسي.
«آه، نعم. انها فقط تلك التي كنت أراها. نعم، لقد تعطلت السيارة هنا، وكان عليّ ان اذهب الى المدينة لاحضار غيار لإصلاحها.»
خفضت كاسي رأسها وقد شملها الشعور بالخزي ونقل ليون جسمه من قدم إلى قدم، وقال بصوت منخفض:«كلا، لا شيء جديا. لقد كنت ظننت في البداية ان الامر قد يكون مختلفاً، ولكن... انك تعلمين كيف تكون مثل هذه المسائل.»
لا شيء جديا ووضعت كاسي يدها على قلبها، وقد منعها شدة الألم من ان تستمع الى بقية كلامه. وبعد عدة دقائق. وضع السماعة ثم استدار متمهلاً ليواجهها.
قال بصوت خشن:«حسناً هذا كفيل بأن يبعد الذئاب لفترة.»

اومأت، وقد نجحت في منحه ابتسامة واهنة. ووقف هو لحظة، ثم استدار خارجاً بسرعة.
انهمرت الدموع من عيني كاسي. لقد فقدته. ولا فائدة من إنكار هذا اكثر من ذلك. لقد أصبحت القضية مسألة وقت الآن. وكانت كذلك منذ البداية. انها لا تستطيع ان تلومه. وهي ستبقى على الدوام شاكرة الوقت الذي امضياه معاً، لكل ما منحها، ومنح إخوتها. وإذ فكرت في ذلك، اندفعت الى الباب وأخذت تنادي مرة اخرى:«ليون.»
«نعم.»
«شكراً لما فعلته للأولاد.» تابع سيره وهو يحني رأسه ويرفع يده لها، فانهمرت الدموع على وجنتيها. لم يكن يريد شكرها. لم يكن يريد أي شيء منها. كان من اللطف بحيث لم يشأ ان يدع الغلمان يخرجون دون ملابس. لكن ليس ثمة من رجل، مهما بلغ من الطيبة، يحمل نفسه عبء مجموعة غلمان ليسوا اولاده وذلك دون سبب معقول. ومهما بلغت محاولاتها، فهي لم توفر له ذلك السبب.

* * *

سمع ليون حركة في ظلام غرفة المؤنة التي أصبحت الآن في المخزن، كذلك غرفة نيوت. أما لماذا ترك الفتى ينتقل معه الى هنا، فهذا ما لم يكن يعرفه. ما الذي كان له ان يهتم بايذاء شعور الفتى بالرفض. ما كان له ان يهتم بأن المنزل الصغير هذا، منزله، كان

ممتلئاً الى آخره بآل هانتر... وبباراداييس وبزوجته.
مهما يكن ما قاله لجاني او كاسي، بالنسبة لهذا الامر. فهو لا يستطيع التوقف عن التفكير في كاسي بصفتها زوجته. ما كان ليهمه ما حدث، ما كان ليهتم، ما دام يعتقد في اعماقه بأنها تحبه. لكنه أصبح الآن يشك بهذا الامر، وهذا الاعتقاد شعر به يقطع قلبه كالسكين، ومع ذلك لم يصل به الامر الى حد يدعها فيه تذهب لشأنها. ليس الآن. ليس قبل ان يتأكد من أنها، وإخوتها سيمكنهم العيش وحدهم.
بقي مستيقظا، آملا بأن يستقر نيوت ويغفو، لكن الملاءة الجديدة التي كان اشتراها للسرير اخذت تحتك ببعضها مصدرة حفيفاً في الظلام. وتنهد. انها غلطة، إذ دفعت الفتى الى الكلام، قائلا:«ان الظلمة دامسة هنا من دون نافذة، أليس كذلك؟»
بدا في صوته شيء من الخوف من الظلام، ابتسم ليون، وقال:«هناك قنديل إذا كنت تريده.»
قال نيوت:«آه، كلا. فأنا احب الظلام. فهو يجعل الغرفة تبدو دون حدود، كما تعلم، اشبه بالمزرعة.»
كان هو يعلم ذلك، ولكنه قال:«حتى المزرعة لها حدودها، يا نيوت. وكذلك كل شيء وكل إنسان.»
«هذا صحيح. ولكن كل شيء هنا فسيح مكشوف. انه يجعلك تحس بنفسك حراً، وكبيراً.»
«هل الأمر كذلك؟»
اومأ الفتى برأسه، لأن كلماته لم تكن الجواب المباشر

إذ قال:«هناك في غرب فرجينيا، كان يبدو وكأننا نعيش الواحد منا قرب الآخر. حتى خارج المنزل، رغم كل الاشجار والجداول وغير ذلك، كان المرء يشعر بأنه محشور... مرتبك... ولكن هنا، حتى التراب يبدو نظيفاً. هنا يشعر الإنسان بما يشبه... الامان.»
الأمان، كان هذا سهلاً تصوره. على الأقل ليس هنا من يلوح بقبضته في وجه نيوت فقط لأنه يعيش. لقد أدرك ليون ما كانت كاسي تسعى إليه. كانت تريد فقط ان يشعروا بالأمان. فهي لو كانت تسعى الى الثروة او الرفاهية، لأخذت تتطلع الى مكان آخر منذ اليوم الأول الذي جاءت فيه الى هنا. وكان هذا جزءاً من السبب الذي جعله يشعر بأنه هو الذي كان المقصد. إذ ما الذي كان بإمكانه ان يقدم لها سوى هذا الفضاء الفسيح والعمل الشاق والعزلة؟ والحب؟ لكن هذا لم تكن تريده حقاً، كانت تريد فقط مكاناً آمناً لأسرتها.
آلمه ان يعلم بأنها لم تكن تريد سوى هذا الشيء القليل. وأنها كانت على استعداد للقيام بأي شيء، وذلك مقابل شيء من الأمان... حتى على حساب... حريتها. أما ما كان هو يريده فهو حبها، حبها واخلاصها... ان تكون الزوجة الامينة التي تعيش بقية حياتها الى جانبه. يبدو أنه كان يريد الشيء الوحيد الذي لم تستطع منحه له، برغم محاولتها ذلك.
تملكه الذهول وهو يحس بالدموع تنحدر على وجهه.

الذهول والخزي. فانقلب الى جانبه وظهره الى نيوت، كما لو انه يخشى ان يراه في هذه الظلمة الحالكة. لكن شيئاً حدثه بأن نيوت قد شعر بقنوطه هذا، ولم يكن مخطئاً في ذلك.

فقد قال نيوت برقة:«يا سيد ليون. انني اريد ان اشكرك. لم يكن هناك من هو بمثل طيبتك وكرمك معنا. حتى ولا جوزيف.»

جوزيف... زوج كاسي المخلص. وكتم ليون شعور الغيرة وحمل نفسه على القول:«حاول ان تغفو، يا نيوت.»

سمع حركة مرة اخرى، وعند ذلك سمعه يقول:«يا ليتك لم تغضب من كاسي بهذا الشكل، يا سيد ليون. فهي لم تكن تقصد ايذاءك. كانت تريد فقط رعايتنا.»

«انني متفهم لذلك، يا نيوت.»

«انها تعلم بأنها اخطأت، يا سيد ليون. لقد قالت انها لم تخبرك بالحقيقة عنا، وهكذا تلخبطت الأمور بشكل ما، ولكنها تشعر بحزن بالغ لكل هذا. وهي تبكي احيانا.»

انه الشعور بالذنب، الشعور بالخداع ما يجعلها تبكي. هذا ما أخذ يفكر فيه. لقد كان من الغضب في البداية، بحيث أراد ان يؤلمها. إنما ليس الآن. لقد أراد ذلك لشدة ما شعر به من ألم، ومع أنه لا يزال يشعر بهذا الألم، فهو يدرك ان لا معنى لأن يسبب لها الشيء نفسه. ذلك ان كاسي لن تتألم مثله لأنها

لم تكن تحبه، وها هو يعلم الآن ان ما فعلته معه، لم يكن استغلالا. ثم قال:«سأتحدث إليها، يا نيوت.»

احس بارتياح الفتى حين اجابه:«هذا جيد جدا، يا سيد ليون. وأنا مسرور حقا، ولكن...»

«ولكن ماذا؟»

تمهل نيوت في الجواب، ثم قال:«الأمر هو... انها سيسعدها اكثر فيما لو عدت انت الى المنزل.»

استمر ليون صامتا يحدق في الظلام. فالفراغ الذي كان يشعر به، ذلك الفراغ المؤلم الرهيب كان يهدد بابتلاعه كليا. قال بصوت خشن جاد:«ليس الأمر بهذه السهولة، يا نيوت.»

«ولكن إذا لم تكن ما زلت غاضباً منها...»

«ليست هذه القضية. لا يمكنني ان اشرحها لك ما عدا ان الرجل لا يحصل على شيء إلا إذا كانت كرامته محفوظة. حتى الرجل الذي يسمح باستغلاله، له كرامته هو ايضا.»

بقي نيوت صامتا فترة طويلة الى حد جعل ليون يظنه نائما، وإذا به يسمعه يقول:«ان لديك الكثير مما يحفظ لك كرامتك، يا سيد ليون، لديك مزرعة بارادايس، وسمعتك الطيبة، عالي الشأن، ثم... ثم انك انشأت كل ذلك بنفسك. فأنت سيّد نفسك، يا سيد ليون. ثم انك كنت كريما بمالك مع الآخرين.»

قاطعه ليون وقد امتلأ قلبه عطفا على الفتى:«نيوت، سأتحدث الى كاسي غدا، ولكن هذا كل ما بإمكاني

elromancia.com

ان اعدك به. والآن، دعنا نرقد.»
احس بالفتى يبتسم وهو يقول برقة:«تصبح على خير، يا ليون.»
ليون، دون سيّد. وتملكه حنين غريب الى بول، أخيه الأصغر سنا، سرعان ما سيعود بول الى جامعته سول روس في ولاية ألباين. والتي كان على نيوت ان يذهب إليها، هو ايضا، لكنه لم يشأ ان يفكر في ذلك الآن. لم يشأ ان يفكر في مبلغ عدم وضوح مستقبل نيوت، او مبلغ كآبة مستقبله هو، ثم اغمض عينيه، ناشدا الراحة لنفسه المعذبة.

* * *

غطت كاسي قدر الطعام، ثم اطفأت الفرن، وكان رغيف خبز الذرة موضوعا على المائدة ليبرد. بينما كانت اعدت فطيرة التفاح سابقا. ابتعدت عن الفرن وهي تجفف يديها، ثم سوّت من ياقة قميصها، قد يكون فقد اهتمامه بها، ولكنه كان يريدها فيما مضى وقد يكون بإمكانها ان تعيده إليها مرة اخرى، ما عليها سوى المحاولة. وعلى كل حال، فقد كان هو الذي اشترى لها هذا القميص، اختاره بنفسه، وكانت تنوي ان تعيد إليه ما دفعه من ثمن، بجانب ذلك، فقد كانا متزوجين. يمكن لهذا الوضع ان يتغير، وقريبا جدا، إذا كان يريد ان يتحدث عما تتصور انه سيتحدث عنه هذا المساء.
تنفست بعمق قبل ان تخرج من المطبخ الى غرفة

الجلوس ومنها الى الباب الأمامي. كان كيلر وكول جالسين على الأريكة يلعبان الداما، فالتفتت إليهما قائلة بلهجة رصينة:«اتركا الآن هذه اللعبة، فقد اقترب موعد العشاء إنني سأرسل الصغيرين الى الداخل، وعليكما ان تهتما بأن يغسلا وجهيهما وأيديهما، وان يسرحا شعرهما. إنني اعنيكما انتما الاثنين ايضا.»
رفعا نظرهما متذمرين بينما اومأت بأصبعها في وجهيهما محذرة:«إياكما ان تمسا الطعام في المطبخ قبل ان اعود وأقدمه للعشاء، اتسمعان؟»
لوى كول ملامح وجهه:«وما الفرق؟ فهو لن يدخل ليتعشى.»
قالت:«سنرى إن كان سيأتي أم لا. اما انتما فافعلا ما اطلبه منكما وإلا فستحرمان من ركوب الخيل اسبوعا كاملا.»
فتح كول عينيه ذاهلاً إزاء هذا التهديد، وأومأت هي برأسها راضية ثم خرجت من الباب، كان بيتر وفريدي وبارت يلعبون في الخارج، فنادت عليهم ليدخلوا المنزل، ثم استدارت عابسة نحو المخزن.
كان المخزن اكبر من المنزل بحوالي ستة اضعاف، لكنه افضل تنظيما مما كان عليه في السابق، بإمكانه ان يشكرها على جهودها في سبيل ذلك، على الأقل. دفعت الباب الثقيل الدوار، قليلا، ثم انسلت الى الداخل. كان ليون ونيوت في الزاوية البعيدة

يمشطان ويعتنيان بالجوادين اللذين رافقانهما للعمل ذلك النهار. كان قيل لها ان ليس ثمة حاجة للتوأمين، وقد أحست بأن ذلك لا بد ان يكون عقاباً لأجل شيء ما، لكنها قررت ان لا تتدخل في هذا الأمر. على كل حال، فثقتها في عدالة ليون كانت جيدة.

كانت وهي تقترب منهما، تسمع نيوت يتحدث، لكنه سكت عندما رآها.

ألقى ليون عليه نظرة ذات معنى، فألقى ببطانة على ظهر الجواد، ثم استدار خارجا، بينما اخذ ليون يمر بيده يلامس حصانه الأسود.

قالت بلهجة عفوية:«العشاء جاهز.»

تسمّرت يداه بينما تابعت هي تقول:«إنه مكوّن من لحوم محمّرة، وخبز ذرة وفطيرة تفاح. نأمل ان تتناول العشاء معنا.»

ألقى بالفرشاتين من يده في صندوقهما الخشبي ثم قال بجمود:«ليس العشاء هو الموضوع الذي اريد ان اتحدث معك بشأنه.»

قالت محاولة إخفاء ارتباكها:«اعلم ذلك. ولكن عليك ان تأكل، أليس كذلك؟ أي ضرر في تناولك الطعام معنا؟» تجاهلها وهو يجذب بطانية من وتد في الجدار، ثم ينفضها ويضعها فوق الجواد. وبعد ذلك وضع له طعامه، ثم تحول الى مؤخرة المربط. بالرغم مما كانت صممت عليه، تحفظت في وقفتها، وحوّلت نظراتها بعيداً، شاعرة بالحرج. ابتعدت عن البوابة

عندما اتجه ليون نحوها، دافعاً إياها ثم انزل المزلاج ووقف مستنداً إليه.

قال:«لقد كنت وعدت نيوت بأن اتحدث إليك.»

أجفلت، ثم سمرت نظراتها عليه:«نيوت؟ وهل حديثنا هو عن نيوت؟»

احنى رأسه قائلاً:«بل هو عنا جميعاً.»

«آه...» اخذت تتأمل اظافرها صامتة.

بعد لحظة طويلة، تنهد وهو يخلع قبعته:«انني اعرف انك كنت فقط تريدين رعاية هؤلاء الغلمان عندما... إن ما أعنيه هو، انني متفهم السبب الذي جعلك تقومين بذلك. إنني اعرف ان ذلك كان لأجلهم.» رفع بصره إليها مستفهما:«أليس كذلك؟»

تقدمت خطوة آملة ان يفهم، ثم قالت:«حسناً، كان ذلك لأجلهم جزئيا، لكنه بالاجمال، كان لأجلي انا. اردت ان اكون زوجتك، يا ليون، وما زلت اريد ذلك.»

اخفض نظراته وأخذ يحف بقدمه التراب عن الأرض، ثم قال:«حسنا وهذا هو وضعك الآن، قانونيا على كل حال.»

كان ذلك بمثابة صفعة تلقتها. لكنها قالت بهدوء:«اريد ان استمر زوجة لك، بأي شكل كان.»

نظر إليها بحدة:«انك مستعدة للقيام بأي شيء لأجل هؤلاء الغلمان، أليس كذلك؟»

شحب وجهها، ثم قالت:«هذا ليس صحيحاً. إنني اريد ذلك لأجل نفسي.»

«وما الذي تريدينه لأجلي أنا، يا كاسي؟» سألها ذلك بصوت خشن منخفض.

قالت ضارعة:«كل الخير، يا ليون. اريد لك كل الخير والسعادة. فأنت تستحق هذا.»

فقال بحدة شاعراً فجأة بالغضب:«انه مجرد عرفان بالجميل، إذن. حسناً، ليس هذا ما اريده لأجلي، يا كاسي، ليس هذا ما اريده مطلقاً.»

ناشدته متوسلة:«اخبرني فقط ما الذي تريده، يا ليون، أي شيء تريده، فقط اخبرني.»

كانت عيناه قاسيتين ملتهبتين حين قال:«هنالك اشياء لا يمكن للانسان ان يملكها بمجرد ان يطلبها يا كاسي، فليس بإمكانك التراجع ثم القيام بالعمل مرة اخرى، لا يمكنك ان تلغي الاشياء التي سبق وحدثت.» أشاح بوجهه وهو يتمتم قائلاً:«لا يمكن للمرء ان ينتج مشاعر غير موجودة.»

تجمدت في مكانها. حسناً، هذا هو الأمر، إذن انه لم يعد يريدها بعد الآن. ازدردت ريقها شاعرة بالألم:«إذن، فأنت تريدنا ان نرحل.»

خرجت كلماتها بصوت منخفض يقارب الهمس. كانت الدموع تتجمع في عينيها، ارادت ان تهرب منه قبل ان تبدأ بالبكاء، فمرت بجانبه مسرعة حذرة من ان يرى دموعها.

قال:«كاسي.» لكنها لم تتمهل. اخيراً استطاعت ان تقول من فوق كتفها:«عليّ ان أعدّ طعام العشاء.»

اسرعت خارجة من الباب ثم مجتازة الفناء، وهي تحاول كبح دموعها بعنف. لا يمكنها ان تبكي الآن، عليها ان تفكر، وان تخطط. عليها ان تجد مكاناً تذهب إليه، لكن دموعها لم تطاوعها، فأخذت تمسحها بأصابعها الى ان وصلت الى المنزل. وقفت عند المدخل تمسح دموعها وتهدىء من مشاعرها الى ان هدأت، ولم تكن تعلم بأنه كان يراقبها من ظلام مدخل المخزن، وهو يغمغم بالأسبانية.

رسمت على شفتيها ابتسامة، ثم دخلت المنزل، كان نيوت جالساً على مقعد بذراعين وقد سرح شعره المبتل الى الخلف، وارتدى قميصاً نظيفاً فوق سرواله الجينز. وكان يسرّح شعر بيتر الذي كان قد غسله له، بينما وقف فريدي الى جانبه ينتظر دوره. عندما دخلت رفع بصره إليها، ورأت القلق في عينيه. فجعلت ابتسامتها مشرقة من دون ان تقول شيئاً وهي تتجه نحو المطبخ.

كان كول قد وضع الأطباق بجانب قدر الطعام على الفرن، لهم هم الثمانية. يبدو ان هناك من أقنعه بأن ليون سيتناول العشاء معهم. لا شك انه نيوت، وعضت شفتها وهي تفكر في مبلغ خيبة أمله إذا لم يأت ليون. لكن ماذا في إمكانها ان تصنع؟ رفعت غطاء القدر بخفة، ثم ابتدأت بسكب الطعام في الاطباق وبنقلها الى المائدة حيث كان كول مشغولاً بوضع المناشف الورقية وأدوات المائدة. كانت تسمع

اصوات كيلر وبارت في الحمام، يتضاحكان ويلعبان بمياه الحوض.

صاحت تقول:«ابتدأ العشاء.» تصاعد صوت وقع الاقدام من مختلف الجهات. وملأت الطبق السابع، ثم وضعته خلفها على المنضدة.»

«كاسي.»

استدارت لدى سماعها صوت نيوت. كان ليون واقفاً عند عتبة البابِ، وقبعتهِ في يده، بينما وقف نيوت بجانبه متأخرا عنه قليلاً. خفق قلبها، وساد صمت غريب لحظةٍ طويلة اومأ ليون بعدها وهو يتحرك من مكانه، قائلاً:«الرائحة شهية.»

اخذت تحدق فيه، غير واثقة مما يريد. تنحنح نيوت وهو يتقدم الى المائدة. كان هناك ستة كراسي فقط، ولكن كاسي كانت قد وضعت لوحاً خشبياً بين اثنين منها. رفع فريدي على اللوح وأشار الى التوأمين بأن يجلسا الى جانبيه، ثم اشار الى بارت بأن يجلس على كرسي الى المائدة وذلك قبل ان يحمل الطبق الزائد الموجود على الموقد ثم يقدمه إليها برقة.

كان ليون في الواقع قادماً ليأكل معهم، استدارت بسرعة وملأت الطبق بالطعام، ثم حملته الى نهاية المائدة ووضعته هناك، مشيرة إليه بيدها بأن يجلس على تلك الكرسي. فعلق قبعته على المشجب ثم سحب الكرسي. جلس نيوت بجانب بارت، تاركا كاسي وابنها بيتر ليتشاركا الكرسي الباقية. جلست

كاسي عليها وربتت على ركبتها قائلة:«تعال اجلس معي، يا بني.»

لكن خيبة الأمل تملكتها وهي ترى بيتر يستدير الى ليون، بشكل غير منتظر. نظرت اليهما يحدق الواحد منهما في الآخر، بيتر يرفع بصره الى أعلى، وليون ينحدر ببصره الى أسفل. ثم استدار ليون حول الكرسي وجلس عليها.

تقدم بيتر الى جانب ليون ووضع يده على ساقه، نظر ليون الى يده تلك محاولا التغلب على الذهول الذي بدا على وجهه، ثم نظر الى كاسي.

عادت هي تقول:«تعال هنا، يا بني.»

لكن بيتر كان الآن يتسلق الى حضن ليون، فنظرت الى ليون بذعر. كان هذا قد مد ذراعيه وكأنه يخاف من لمس الصبي وكذلك من ان لا يلمسه. بينما كان بيتر يتكوم ويتحرك الى ان وجد وضعاً مريحاً جلس فيه على ركبة ليون. جلس هناك لحظة، ثم اسند رأسه على صدر ليون، ووضع اصبعه في فمه. نظر ليون الى كاسي، ثم الى الغلمان حول المائدة. وأخيراً حمل الصبي بيديه الاثنتين، ثم اجلسه جيداً، محيطاً خصر الصغير بذراعه، ثم مال الى الامام قليلاً وهو يقول بصوت جامد النبرات:«قدمي خبز الذرة، من فضلك. ثم اننا بحاجة الى ملعقة اخرى.»

كان قلب كاسي يقرع كالطبل، وانتبهت الى نفسها وهي تحدق فيهما بذهول، عندما أشار إليها نيوت

بأن تناوله من ادوات المائدة القريبة منها. اختطفت ملعقة وسكيناً بيد واحدة ومررتهما عبر المائدة. تلقاهما بارت فنظر الى ليون متردداً ثم سار نحوه ليضعهما على المائدة بجانب طبقه. لكنه اخطأ ووضعهما وسط الطبق غامساً قبضته في طعام ليون. احمر وجه بارت وهو يرفع يده من الطبق، وفتح ليون فمه وهو ينظر الى بارت غير مصدق، ثم ارسل الى كاسي نظرة حازمة وهو يقول آمراً:«خذي الصبي الى الباسو واشتري له نظارات.»

نظارات؟ وخفق قلب كاسي. انه يخبرها ان بإمكانها أخذ... آه،.. تلاشى الفرح وتناولت لقمة طعام:«إنني... إنني لا استطيع.»

رفع رأسه مرة اخرى:«لا تستطيعين؟»

نظرت إليه ثم قالت بحدة:«لا احسن قيادة السيارة.»

حدق فيها وكأنه لم يسمعها، ثم رد قائلاً:«يا لك من امرأة. لا يمكنك الاستمرار في العيش هنا من دون ان تحسني القيادة.»

شهقت، وقالت بسرعة من دون تفكير:«وهل سأستمر في العيش هنا، يا ليون؟»

اخفض رأسه ونظر إليها عابساً، بدا وأن كل من في الغرفة قد حبس انفاسه. حتى بيتر استدار ينظر إليه بترقب.

نظر ليون الى نيوت والتقط شوكته وغمسها في طبقه، متمتماً وهو يرفع اللقمة:«وأين ستعيشين إذن؟»

تملك كاسي الارتياح، ولكنها ارغمت نفسها على الجمود وهي ترى ستة ازواج من الأعين تحدق فيها. كان يكفيها ان تعلم انه لم يقرر طردها من منزله. ولكنها لم تستطع الامتناع عن التفكير في حاجة بارت الماسة الى نظارات، فنظرت الى ليون ببلادة وقالت:«و... ماذا بالنسبة الى نظارات بارت؟»

بدا الضيق على وجهه، ولكن ذلك سرعان ما تبدد، ما جعلها تتساءل عما إذا كانت رأت ذلك فعلاً.

تمتم:«من الواضح انه لا يستطيع رؤية ما هو أبعد من أنفه. سنأخذه الى المدينة في أول فرصة سانحة، ولكن اولاً عليك ان تتعلمي قيادة السيارة. فمن غير المعقول ان تمكثي هنا وأنت تجهلين ذلك. ماذا لو حصل أذى لأحد هؤلاء الغلمان وأنا في المزرعة؟ نعم، يمكنك استدعاء سيارة اسعاف. ولكن هل لديك فكرة كم ستأخذ من الوقت لتصل الى هنا؟ ان الشفاء عندها قد يكون متوقفاً على الحظ فقط.»

تبادل الجميع النظرات، حول المائدة وأخيراً تابع ليون طعامه وتمثل به الآخرون، جميعهم ما عدا نيوت وبيتر اللذين كانت نظراتهما متعلقة بجانب وجهه. وما لبث نيوت ان تحرك في كرسيه وهو يتنحنح، نظر إليه ليون ثم وضع مرفقيه على المائدة وقال:«ماذا؟»

جذب نيوت نفساً عميقاً. ثم سأل برجاء:«وماذا... ماذا عن تعلمي انا قيادة السيارات؟»

رأت كاسي علائم التفهم تكسو ملامح ليون، وقال:«آه... لا تخبرني...» وضع شوكته على المائدة بعنف وهو يقول:«ما شأنكم، ايها الناس؟ ألا يستطيع احد في غرب فرجينيا ان يقود سيارة؟»

احمر وجه نيوت، وصرفت كاسي بأسنانها. ما كان له ان يحرج اخاها. قالت وهي تسمر نظراتها في طبقها:«إن الذين يقودون السيارات في غرب فرجينيا، هم اولئك الذين يملكون سيارات.»

اظهر ليون الشعور بالخجل مما قاله وتابع:«سنبدأ غدا. سأعلمكما انتما الاثنين. لكن لا بد وان يبقى هنا من يقوم بالعمل.»

قال ذلك وعيناه تتجهان نحو التوأمين.

ازدرد كول ريقه ونظر الى أخيه الذي بادله نظرته تلك قبل ان يقول:«يمكننا... يمكننا ان نعتني بالجياد.»

اضاف كيلر:«يمكننا ان ننظم البيت ايضا.»

هتف فريدي وهو يضرب جبهته بيده:«آه، يا أخي.» ولسوء الحظ كانت يده هذه ممسكة بالشوكة التي تحمل قطعة لحم مغموسة بالمرق فسال على شعره.

كبت نيوت ضحكة مكتومة. بينما ضحك التوأمان بصوت عال. اما بارت فقد مال الى الامام محاولا ان يرى ما حدث. كما ان كاسي كبتت ابتسامة، كذلك بيتر أشار الى فريدي بإصبعه وهو يرفع حاجبيه بشكل مضحك. اما فريدي الذي شعر بالحرج على الفور، سرعان ما أصبح مسرورا من نفسه، فحوّل

عينيه وأخذ يهز رأسه من جانب الى جانب، باعثاً بذلك، موجة جديدة من الضحك. اما ليون فقد بقي رأسه منحنيا على طبقه، ولكن كاسي تأكدت من أنه كان يخفي ابتسامة. اخيرا انتهى الضحك وعاد كل واحد منهم الى طعامه، بينما اخذ فريدي يدعك رأسه بالمنشفة.

بعد لحظات قليلة، وضع ليون شوكته وأمسك بملعقة قدمها الى بيتر الذي تجاهلها وحرك ليون جسمه ما جعل الطفل ينظر إليه، فقال له:«اخرج اصبعك من فمك ثم كل طعامك.»

حدق بيتر إليه بدهشة، ثم وببطء، اخرج اصبعه من فمه وأمسك بالملعقة وانحنى يأكل من طبق ليون. عندما اصبح فارغا، دفع ليون الطبق الى الأمام رافعا نظره الى كاسي، وهو يقول:«هذا حسن. نريد المزيد من فضلك. وهذه المرة ناولينا خبز الذرة.»

شعرت كاسي بدفء الأمل يسري في كيانها، اخذت الطبق ثم نهضت عن كرسيها. وعندما ملأته بالطعام الدسم المغذي، حدثت نفسها جادة. بأن تقبله لابنها، وعطفه على بارت لا يعني أنه يريد ان يصفح، وينسى... لكنها البداية.

عندما عادت إليه بالطبق، كان وجهه خالياً من أي تعبير، وكذلك وجهها، لكن شعلة الأمل استمرت في التوهج.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

قال ليون وهو يساعدها لتثبيت يدها على عجلة القيادة:«إسترخي... إسترخي فقط.»
اومأت كاسي برأسها، شاعرة بالألم.
عاد يقول آمراً:«إرخي قبضتك قليلاً، فعجلة القيادة لن تذهب الى أي مكان من دونك.»
تحرك نيوت في المقعد الخلفي ثم اخذ يحدق فيها، شعرت هي باللون يصبغ وجنتيها، لماذا وافقته على ذلك؟ لقد أمضيا الآن اياماً على هذه الحال، ما كان يرهقها تماماً. نيوت على الأقل، كان عليه ان يبقى في الخلف الى ان يحين دوره للقيادة، عند ذلك لا يكون ليون مرغماً على توجيه الكلام لها، ما يلهيها عن استيعاب الدروس. وتنفست بعمق.
احس ليون بعصبيتها، فقال لها:«هل لك ان تسترخي، من فضلك؟»
اشتعل غضبها، ما جعل دموعها تنهمر وهي تقول:«كيف يمكنني ان استرخي وانت تصيح بي بهذا الشكل؟»
انحرفت الشاحنة الى اليسار بشكل خطر، فتمسك بعجلة القيادة بينما كانت هي تصلح المسار، ما جعل الشاحنة تندفع على الرمال الى اليمين خارج الطريق، وصرخت كاسي، بينما تمسك نيوت يمنع

نفسه من الاصطدام بما امامه، وضغط ليون على المكابح، ثم توقفت الشاحنة وهي ترتجّ بعنف.
صرخ ليون:«اخرجا... اخرجا... اخرجا.»
وبسرعة فك نيوت وكاسي الأحزمة ثم اندفعا الى الخارج، واخذ ليون يعمل بيديه وهو يشتم بالأسبانية الى ان عاد الى هدوئه، عند ذلك إنزلق الى اسفل العجلة، ثم خرج الى الارض الرملية حيث اخذ يتفحص العجلات.
اخيراً قال:«لا بأس يا نيوت، عليك ان تبقى هنا لعدة دقائق بينما نقود انا وكاسي السيارة الى نهاية الطريق ثم نعود، ربما هي تستطيع القيادة من دون مراقبة احد، ان...»
قالت تعترض:«كلا، لا اريد ان اتعلم القيادة، لا استطيع ذلك.»
قال:«ليس لديك خيار في هذا، يكفي المخاطر التي تصادف من يعيش هنا، ومحاولة العيش دون تعلم القيادة هو طيش بالغ وتهوّر.»
«لا يهمني.»
«بل يجب عليك ذلك.»
كان الحق معه، وكانت هي تعلم ذلك، لكن اعصابها كانت مرهفة حساسة فوق العادة، وكان قلبها ما يزال يخفق بقوة، اغمضت عينيها تقول:«لا استطيع القيام بذلك.»
مال برأسه الى جانبها قائلاً ببرودة:«لا تستطيعين

القيام بذلك؟ ألست انت المرأة التي نزلت الى الأخدود لتحرير الثور؟ اتذكرين؟ الست انت المرأة التي أخرجت ابنها واشقائها الصغار من غرب فرجينيا الى حياة جديدة؟ المرأة التي جعلتني اتزوجها في أقل من اسبوعين فقط؟ اظن بإمكانك ان تتعلمي قيادة شاحنة صغيرة.»

كانت تنظر إليه وقد فتحت عينيها ذاهلة، لكن الغضب سرعان ما تبع الذهول، فقالت تتهمه:«لقد أردت انت ان تتزوجني بقدر ما اردت انا ان اتزوجك.»

قال بحدة:«ربما هذا صحيح، ولكنك لم تجعليني أرغب في البقاء زوجا لك.»

قالت بنعومة:«كنت سأفعل هذا لو انك سمحت لي بذلك.»

حدق فيها وقد اخذت ملامحه تلين، لكن وجهه عاد يقسو مرة اخرى وقال بحدة:«اسمعيني جيدا، إذا اردت ان تمكثي في بارادايس، فتعلمي القيادة، وإلا فسأنقلك الى المدينة.»

حملقت فيه، ثم رفعت ذقنها وهي تندفع نحو الشاحنة:«هذا حسن.» جلست تشد الحزام حولها، وبقي هو واقفا في مكانه لحظة، محاولا السيطرة على طبعه، ثم نظر الى نيوت اخيرا:«انتظر هنا.» وسار نحو الشاحنة حيث جلس في المقعد بجانب كاسي، ثم ابتدأ يقول:«والآن، اول ما عليك ان...» قاطعته بحزم:«ابتعد عني.»

حدق فيها:«ماذا؟»

حولت نظراتها عنه:«قلت ان تبتعد عني، فأنا لا استطيع ان افكر بينما انت قريبا مني هكذا.»

ألقى عليها نظرة طويلة متسائلة، ثم ابتعد قليلا وهو يسألها متهكما:«اتريدين شيئا آخر، يا سيدتي؟»

استدارت إليه غاضبة:«اقفل فمك الآن، وابتدىء بتعليمي.»

قال:«من الصعب علينا، نحن الاثنين، ان نقوم بذلك.» لكنها تجاهلته، وهي تقول:«ثم شد حزام الأمان حولك، لأنني إذا كنت سأقتلك فأنا افضل ان افعل ذلك بخنقك بيدي هاتين.»

اخذ يشد الحزام حوله، حانيا رأسه، ولكنها لاحظت ابتسامة يحاول ان يخفيها، فجأة استقام الأمر معها. حسنا، انها ستتعلم القيادة. إذا كان سينقلها الى المدينة فعليه ان يبحث عن عذر آخر لذلك. فهي الآن ستوفر له كل الاسباب التي تجعله يبقيها معه هنا، ومن ضمن ذلك تعلمها القيادة. ووضعت قدمها على دواسة الوقود، وذلك دون ان تلقي نظرة على ليون قبل ان تنساب بهما الشاحنة في طريقها.

بعد ذلك بنصف ساعة كان نيوت خلف عجلة القيادة، وجلس ليون بجانبه يعطيه تعليماته بهدوء، بينما كانت كاسي تنظر من نافذة السيارة متأملة، لقد قامت بإنجاز كاف في التعلم ولم يعد ليون الى تهديده بنقلها الى المدينة، فكرت بمرارة ان كان كل

اشقائها سيرافقونها في انتقالها الى المدينة، إذا حصل هذا، لكنها ما لبثت ان اعترفت لنفسها بأن نيوت غير ملام في مشاكلها مع ليون، فليس هناك من تلومه سوى نفسها، لماذا؟ لماذا لم تقم بترتيب وضعها منذ البداية كما كانت تنوي؟ لكانت توصلت الى تفاهم كاملٍ بهذا الشأن دون خيبة أمل، وقد يصبحون جميعا سعداء بعد ذلك.

الآن ليس هناك ما تراه سوى مستقبل قاحل جاف للغاية، إلا اذا استطاعت إقناعه بأن معاملتها له صادقة.. ولكن كيف ستتمكن من ذلك؟ اخذت تقلب هذا السؤال في ذهنها، ولكن الأجوبة كانت مزعجة، فهي تطيح بكرامتها، ومع ذلك فقد وضعتها قيد الاعتبار، وما فائدة الكرامة إذا كانت ستجعلها تفقد أهم شخص في حياتها؟ لم يكن غريبا ان يصبح ليون بهذه الأهمية بالنسبة إليها، فهو رفيق مستقيم، كريم، ومجدّ في عمله. كانت فيه كل صفات جوزيف، ولكن ما جذبها الى ليون كان زخم العواطف التي يملكها هذا الرجل، والمعاملة الحسنة التي افرغها عليها بسخاء ومن دون مناقشة الى أن وجدت له سببا لمناقشتها في عواطفها نحوه، والآن عليها ان توجد له سببا يعيده زوجا لها... هذا إذا كان وضعهما المضطرب هذا يمكن تسميته زواجا.

حسنا، من الآن فصاعدا عليها ان تكون مثله في الصدق والعدل واللطف، والجد في العمل والرقة،

والسخاء والامان... انها ستفعل كل ما يريده... حتى ولو أرادها، في النهاية، ان ترحل.

* * *

تقدم نيوت في تعلم القيادة بشكل جيد الى حد جعل ليون يقول مازحا انه سيرسله الى إلباسو مع كاسي وبارت، وطبعا لم يكن هذا ممكنا حيث ان نيوت ليس لديه رخصة للقيادة، وأعطت كاسي الغلمان تعليمات صارمة عما عليهم ان لا يفعلوه في غيابها مع ليون. ثم اعطاهم ليون تعليمات محددة عما عليهم ان يفعلوه. فيما بعد وهما في طريقهما الى المدينة، اخبرها بأنه من الاسهل عليهما ان يتأكدا من ان الأولاد سيتجنبون القيام بما هو محظور عليهم، إذا هم شغلوا انفسهم بالقيام بما هو مطلوب منهم عمله، وكان هذا منطقيا تماما.

قالت:«هذا ذكاء بالغ، انك والد طبيعي.» عندما رأته يحملق فيها بضيق، قالت محوّلة وجهها نحو النافذة:«لا بأس، يمكنك ان تتعلم.»

استمر الصمت بينهما فترة، ولكنهما عندما وصلا الى الطريق الرئيسي، فتح ليون جهاز الراديو، عند ذلك ابتدأ بارت في إلقاء الاسئلة عما يمرون به في طريقهم، ثم اخذ ليون يؤلف له قصصا خيالية عما يمرون به... هنا جياد ذوات اشكال غير عادية، وأفاع تنساب ثم تختفي في جحورها، وسحالي ذوات قرون، وضفادع برية يكاد الدم يتفجر من أعينها.

هذا بينما كانت كاسي لا ترى سوى الصحارى الفسيحة والجبال، هذا الى أسيجة لان نهاية لها.
بقي يسلي بارت بأقاصيص كهذه الى ان اصبح الأمر سجالا بينهما، كل يروي ما عنده من اساطير، ما جعل صبر كاسي ينفد فتهددهما بأن تلقي بهما، هما الاثنين، من السيارة.
عند ذلك اخذ ليون يصاحب الراديو في الغناء مضيفاً كلمات من عنده كلما كانت الاغنية جادة، فأخذ ضحك بارت يتعالى الى ان دمعت عيناه، وفجأة كانوا قد اصبحوا في المدينة، كانت هذه اسرع ثلاث ساعات سفر عرفتها كاسي في حياتها.
سار ليون بالسيارة مباشرة الى مطعم في الناحية الشرقية، وبعدما طلب الطعام، توجه الى الهاتف ليطلب من العامل عنوان أقرب عيادة لفحص العيون في ظرف ساعة، وأخذ اسم طبيب يمكنه ان يفحص عيني بارت اثناء فرصة الغداء. وهكذا اخذ الثلاثة غداءهم، وخرجوا الى حيث امضوا ثلث ساعة في البحث عن عيادة الطبيب، وعندما وصلوا كانوا قد تأخروا خمس دقائق فقط.
كتب الطبيب وصفتين طبيتين لنظارات لبارت واحدة منهما يمكن احضارها بسهولة وتساعد بارت على رؤية الاشياء القريبة بوضوح اما الثانية فهي اكثر دقة في المساعدة على الرؤية حتى للمسافات البعيدة. ولكن هذه سيستغرق صنعها وقتا اطول.

عندما اخذ المساعد يعد الملف ويلقي بأسئلته، كان جواب بارت عن الاسم انه (بارت باراديس)، وتبادل ليون وكاسي النظرات ذاهلين، لكن عندما همت بأن تصلح الامر، منعها ليون من ذلك بلكزة من يده على ذراعها، وامتزج ذهولها بعرفان جميل صامت بدا في عينيها، اخذ بعد ذلك يتجنب نظراتها، ولكنه اخذ يتصرف مع بارت وكأن ليس ثمة شيء غير عادي قد حدث.
غمرها الحب لهما، لكنها بقيت صامتة، فلم تصدر عنها أي كلمة شكر.
عند شراء النظارات، تملك كاسي القلق بالنسبة الى ثمن الإطار، بينما اصر ليون على النوع الجيد، أما بارت فكان كل ما يهمه هو مظهره في المرآة.
بعد ذلك اخذ ليون كاسي وبارت الى متجر البقالة حيث تبضعوا من مختلف انواع البقالة، هذا الى عدد من المجلات والكتب الهزلية.
عندما عادوا الى متجر النظارات، اصر بارت على الجلوس على مقعد طالبا من كاسي ان تقرأ له في احد الكتب الهزلية تلك، طلب ذلك من كاسي اولا وبعد ذلك من ليون الذي قام بهذا العمل بشكل يدعو الى الاعجاب من حيث الإلقاء والتعبير بصوته، لم تر كاسي من قبل رجلا يتصرف مع ولد بهذا الشكل، فوالدها لم يكن يزعج نفسه بالأولاد، كما ان بيتر كان صغيرا جدا عندما مات والده.

تملكت كاسي الحيرة، ولم تكن وحدها كذلك، فقد كان بارت منجذبا الى هذا الرجل بشكل غريب، كان اكبر من ان يعبر عن مشاعره نحوه بالعناق والشكر، وهكذا جلس بقربه واضعا ذراعه حول كتفيه بينما وضع ليون ذراعه حول عنق الغلام، متصنعا العنف، جاذبا إياه نحوه. بان السرور البالغ على وجه ليون. لم تكن مخطئة، فقد كانت الابوة شيء طبيعي فيه، لقد رأته يمنح بارت شيئا هي نفسها لم تكن تأمل في منحه له او لأشقائها، حتى لابنها بيتر، ورأت كم كانت على صواب حين حضرت الى تكساس وأحضرت اشقائها رغم تصرفها الخاطىء من هذه الناحية. عاهدت نفسها مجددا على ان تقوم بكل ما يمكنها من جهد لكي تبقى هذه الأسرة متماسكة معا.

الأسرة؟ هل كانوا أسرة حقاً؟ فكرت في بارت وهو يعطي اسمه لمساعد طبيب العيون ربما ليس لهم جميعا أسرة، ويوما ما سيكون لديهم الاستقرار، وذلك في تلك المزرعة البالغة عشرين الف فدان والتي هي الآن بيتهم. فقط لو ان زوجها يعود الى التفكير فيها... ومعاملتها بصفتها زوجته.

كان بارت لا يعرف الملل، ولم تكن كاسي تستطيع جعله يمكث في البيت حتى اثناء الليل، فالآن بعد ان اصبح يرى بوضوح مرة اخرى، أراد ان يخرج ليرى الريف والسماء وكل ما بينهما وعندما شكت ذلك

لليون، طالبة منه ان يستعمل نفوذه لدى الصبي، ضحك وقال:«فكري في ما سيحدث عندما تصل تلك العدسات الاكثر دقة. ربما سنضطر لشراء مرصد فلكي له هدية العيد فبإمكانه ان يرى بواسطته على بعد اميال.»

العيد؟ هل قال انهم سيكونون هنا عندما يأتي العيد؟ امتنعت عن السؤال عما إذا كان يعني هذا حقا، لكنها قررت ان تقوم بشيء كانت اخذت تفكر فيه منذ تلك الرحلة الى الباسو، لقد اصبح الآن يتناول طعامه معهم، حتى انه اخذ يطوف حول البيت طوال المساء الى ان يحين وقت راحته. ومع ذلك فهي تريد التقرب اليه في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، لذا قررت ان تسعى لذلك.

اخذت تعتاد السير معه في الامسيات عندما كان يذهب الى المخزن، وكانا يتبادلان احاديث قصيرة بشأن الأسرة. ذات مساء اخبرته كاسي كيف ان بارت اخذ ذلك النهار يقرأ المجلات الهزلية لبيتر بنفس الطريقة التي كان ليون قد قرأها لبارت.

قالت له:«انك ممثل جيد.» لكنه تجاهل ذلك واخذ يتحدث عن مقدار ما اخذ اشقائه الأكبر منه يتعلمونه عن تربية المواشي، خصوصا نيوت، وعندما قالت انها مسرورة لتمكن نيوت من ان يكون مساعدا حقيقيا له، واثناء ذلك يتعلم مهنة مفيدة، اومأ ليون برأسه:«على ذلك الفتى ان يكون في الجامعة.»

www.elromancia.com

ذهلت من كلامه:«الجامعة!»
قال:«انه فنان، حتى انه يرسم على التراب إذا لم يجد أدوات رسم. انها موهبة، يا كاسي، وقد عرفت ذلك من قبل عندما ارسلت إليّ ذلك الرسم التخطيطي الذي صنعه لك، لكن هذه الاسابيع الأخيرة... رأيت نيوت يصنع صوراً محيّرة للغاية وذلك على الصخور بأدوات حادة، يجب ان يجد فرصة يمارس فيها ما هو صالح له، يجب ان يحصل على فرصة الذهاب الى الجامعة.»
كانت تستمع إليه مصعوقة:«انني... انني لا اظنه فكر في ذلك.»
اجابها بغضب:«انه فكر طبعاً في هذا، يا كاسي، لكنه لا يقول، وأرى ذلك في عينيه كلما ذكرت الأمر.»
فجأة شعرت بالخوف، الجامعة... كيف بإمكانها ان تفكر في وسيلة يدخل فيها نيوت الجامعة بعد ان استنفد إيواؤه واطعامه كل ما كان لديها؟ انها بالطبع لا تتوقع من ليون القيام بذلك بعد كل الذي قدمه اليهم جميعا، فهذا كثير، كثير جدا، لذا قالت:«لا يمكنه الذهاب، انه فقط لا يمكنه الذهاب.»
التفت ليون إليها وعيناه تلتمعان، ثم قال متحدياً بعنف:«اخبريه انت إذن! انك انت التي احضرته الى هنا، ولهذا اخبريه بأنه لا يمكنه الذهاب، وإلا فأنا الذي سأخبره حتى ولو لم يأت على ذكر هذا الأمر، ألا ترين انك جعلته مسؤوليتي، يا كاسي؟ الأمر الآن

راجع إليّ في تحقيق احلامه او تدميرها، وهذا ليس ذنبي، ليس ذنبي.» اغمض عينيه وهو يضغط على صدغيه بأصابعه متابعاً:«لم يكن الذنب ذنبي ولكنني تركتك تجعلينني مسؤولا، واظن عليّ ان اجد جواباً لذلك.» تأوه وكأنه يحمل العالم كله على كتفيه. كان محقاً في ذلك، كانت تعلم انه على حق.
قالت بأسف:«انني... آسفة، لم ادرك ابداً...»
قاطعها بحدة:«انك لم تريدي ان تدركي.»
اخذت يداها في الإرتجاف:«ليون، لم تكن الجامعة يوماً جزءاً... لم اقصد بتاتاً... كل ما كنت اريده لهم...»
أكمل كلامها:«الأمان.»
حدّقت فيه مدهوشة ثم اومأت:«نعم، اردت لهم الأمان، لكنني حصلت على اكثر من ذلك بكثير، فهم لم يحصلوا عندك على الأمان فقط، بل على المحبة ايضا، لقد كانت والدتي هي الشخص الوحيد الذي عرفته مليئاً بالمحبة للآخرين... إلى ان عرفتك، لم اكن اعرف ان الرجل يمكن ان ينجح في ذلك يا ليون، إلى ان اريتني ذلك بنفسك، لقد حصلوا على اكثر من مجرد الأمان، يا ليون، ولا تظن انني لا اعرف هذا.»
سكتت كي لا تقول اكثر من هذا وتتفوه بكلمات قد لا يكون مستعداً بعد لتصديقها، ان تمنع نفسها من ان تقول له انها تحترمه اكثر من أي شخص، ان

www.elromancia.com

تمنع نفسها من ان تتوسل إليه في ان يمنحها جزءاً من الاهتمام الذي يغدقه نحو الغلمان، وقفت في ذلك السكون تحدق فيه، متسائلة عما إذا كان يمكنه ان يقرأ في عينيها كل ما تشعر به، الى ان هز رأسه ثم استدار مسرعا، متواريا في ظلام الليل.

لم يكن ثمة من فائدة، كان يخوض معركة خاسرة، وكان يعلم هذا، جلس في الظلمة الحالكة، يحدق في السواد، ثم حاول ان يفكر في وسيلة تخرجه مما هو فيه، محاولا ان يعرف ما الذي عليه ان يفعل، لكن لم يكن ثمة من فائدة، لقد كانت كاسي على حق، فهو لا يجد طريقة يمتنع فيها عن حب الآخرين مهما اجتهد في محاولة ذلك، ليس لأجل نيوت، ليس لأجل أي من الآخرين، وليس لأجلها، انه يحب كاسي، وهذا شيء عليه ان يتعلم كيف يعيش معه لأنه لم يعد يستطيع التصرف، حتى بينه وبين نفسه، بأن لديه نية للعيش من دونها، لقد قالت انه لم يسمح لها بأن تعطيه اسبابا تجعله يظل زوجا لها، وربما كانت على حق، ربما كان عليه ان يمنحها فرصة، ربما كان هذا كل ما يعنيه الزواج.

توقف عن التفكير في وسيلة للخروج، وأخذ يفكر في وسيلة للعودة الى المنزل، لقد تعب من الرقاد في هذا المخزن، بينما زوجته تعاني نفس الشيء.

كان في الحقيقة يظن ان بيتر يظل معها، بينما يرقد بارت وفريدي في الغرفة الاخرى، فإذا انتقل

الآن الى المنزل، سيكون على واحد منهم ان يعود الى الرقاد على الأرض، وهو لا يستطيع القبول بذلك، فكر في وضع سرير آخر في المنزل، لكن لا يوجد مكان له. فقد كان المنزل صغيرا جدا لمثل هذه الأسرة الكبيرة. حتى المائدة لا تسعهم جميعا إلا إذا وضع بيتر على ركبته، ومع ان ليس لديه مانع من ذلك، الا ان الأمر سيصبح صعباً متى كبر الصبي، من المفروض ان يضعوا لوحا من الخشب بين الكراسي، لكنه لم يكن يريد ذلك لأسرته، أسرته...؟ وشعر لهذه الكلمة بغرابة في نفسه، لكنه لم يستطع القول بأنه لا يحبهم، فكر في بارت وهو يخبر مساعد الطبيب بأن اسمه بارت بارادايس، وابتسم لقد احبهم منذ اللحظة التي حشرهم فيها جميعا في شاحنته عائداً بهم الى بيته، لم يعد يحدث نفسه بأنه كان عليه ان يتركهم جميعا واقفين في الشارع في مدينة فان هورن دون أي مكان يذهبون إليه، لكن كان لديه خيارات عديدة. كان بإمكانه ان يستدعي مكتب المبرات الخيرية. كان بإمكانه ان يرسلهم الى دولوريس كاتر كما كانت تطوعت ان تفعل مع كاسي عندما جاءت، حتى انه كان بإمكانه ان يأخذهم مباشرة الى الباسو فيستأجر لهم شقة ويعطيهم ما يكفيهم من النقود الى ان تجد كاسي عملا، ثم يذهب لرؤية محام لإنجاز طلاق سريع، لكنه لم يفعل ايا من كل هذا، وهو لن يفعل ايا منها الآن.

فكر في الثمانية آلاف فدان التي كان سيشتريها، لكنه حدث نفسه ان بإمكانه توسيع مزرعته في أي وقت، او بإمكانه اخذ قرض والقيام بذلك الآن، بإمكان كاتر ان يعطيه المال مقدما، وربما من دون التعليق على كيفية تحمله عبء تربية ستة غلمان، لكن شقيقه ديل سيفعل ذلك عندما يكتشف الأمر، ولكنه سيكتشفه، كل أسرة بارادايس ستعلم سواء عاجلاً أم آجلا.

قرر ان يكون ذلك آجلاً، بعد ان يصل وكاسي الى اتفاق ملائم.

عندما بزغ الصباح كان قد وضع خطة، لكنه قرر ان قلة الكلام عنها قد يكون الأفضل، لا شك ان كاسي ستمنعه من إنفاق المزيد من النقود بينما هو لا يرى حلا عمليا آخر. تناول الإفطار معهم في المنزل، ثم أخبر نيوت بأنهم سيستعملون الشاحنة لهذا النهار، شعر نيوت بخيبة أمل. فهو يعشق ركوب الخيل، ولكن خيبة أمل نيوت لم تكن لتقاس بخيبة أمل التوأمين عندما تركهما ليون في المنزل مغادرا بالشاحنة.

لم تقل كاسي شيئا عندما لاحظت انه لم يرتد ثياب العمل في المزرعة، وهو يغادر المنزل. عند تحركت به الشاحنة، نظر في المرآة الى الخلف فرأى كاسي واقفة عندم مدخل البيت تراقبه. ادرك انها سرعان ما ستعرف انه ليس العمل اليومي المعتاد الذي هو ذاهب لأجله، لكنه حدث نفسه بأنه في سبيل عمل

افضل، وعندما غابا عن الأنظار، التفت نيوت اليه سائلا:«ما الذي انت بصدده؟»

اشرق وجه ليون بالابتسام:«ما الذي جعلك تظن انني بسبيل عمل شيء؟»

«هيا تكلم يا ليون. منذ متى نغادر الى المدينة بهذا الشكل، هذا إذا لم اكن مخطئا.»

فقال ليون:«انك غير مخطىء.»

«حسنا، ماذا يجري إذن؟»

تنفس ليون بعمق، وقال:«هناك أمران سنقوم بهما، الأول هو زيارة لصديق اعرفه من ايام الدراسة، هل هناك ضرر من هذا؟»

قال نيوت وهو ينظر إليه بارتياب:«هذا يعتمد عما إذا كان ذلك الصديق امرأة.»

نظر ليون الى الفتى ذاهلا:«من أين اتيت بهذه الفكرة الحمقاء؟»

بدا الخجل على وجه نيوت:«حسناً، انكما انت وكاسي لا تعيشان معا... بالضبط.»

اجاب ليون:«هذا صحيح، ولكنني قررت بأن يتغير هذا الوضع، وهذا يقودني الى الغرض الآخر من مجيئنا اليوم.» ثم رفع حاجبيه متابعا:«اننا ذاهبان الى حيث نشتري أدوات البناء... فذلك المنزل لا يسعنا جميعا.»

نظر نيوت الذي كان ضاحك الأسارير وهتف مبتهجاً، بينما قهقه ليون وهو يهز رأسه.

اخذت تجادل وتجادل حتى احمر وجهها، مرددة مرة بعد مرة اخرى انها لم تقصد ان يضيع فرصة الحصول على الثمانية آلاف فدان تلك. حاول ان يخبرها بأنه لم يفعل هذا، لكنها بحثت عن الوصل بأدوات البناء في جيب سترته واختطفته قبل ان يستطيع منعها من ذلك. شحب وجهها وهي تقرأ الأرقام المكتوبة فيه، ولم يخفف عنها ما أخذ يقوله عن القروض وما أشبه، حتى يئس اخيراً فتركها وذهب الى عمله، اخيراً جلست على عتبة الباب وأخذت تبكي، لكنه هز رأسه وتركها تبكي، متشبثاً برأيه.

يبدو ان نيوت ساوره القلق، فتقدم خجلاً، الى ليون، وهما في العمل، ونظراته على كاسي بينما هي تجلس على العتبة تخبىء وجهها بين ذراعيها المتكئتين على ركبتيها، ثم همس باهتمام:«إذا كانت تتصرف بهذا الشكل بالنسبة الى اضافة بناء الى المنزل، فما الذي ستفعله إذا هي اكتشفت الأمر الآخر؟»

قال ليون وكان سبق وتناقشا في هذا الامر:«انه مجرد امتحان لدخول الجامعة، يا نيوت، ثم انك سمعت ما قاله داتش، ستكون لديك فرص تؤهلك لكل انواع الفنون وما أشبه، وهو يعرف بهذه الشؤون حيث انه مدير مدرسة.»

همس نيوت:«ولكن الجامعة... انني لم اتعلم أية مادة من مواد الجامعة.»

تمتم ليون:«فليكن، ولكن دع كاسي لي، إياك ان تقول لها كلمة الى ان تسنح لي فرصة التكلم معها، هل فهمت؟»

اومأ نيوت برأسه، لكن مشكلة اخرى خطرت بباله، او لعلها اثنتان.

سأل كول وهو ينظر في اتجاه كاسي:«ليون، اظن انني وكيلر، إذا شاءت كاسي يمكننا بدلا من بناء ملحق للمنزل، يمكننا ان ننام تحت النجوم.»

اضاف كيلر يقول:«لقد اعتدنا على ذلك.»

لم يشأ ليون ان يجرح شعورهما، فتوقف عن حفر الأساس لكي يربت على كتفيهما قائلا:«ان كاسي سترضى، والبناء هو الأفضل، ثقا بكلامي، إتفقنا؟»

لم يمض ليون وقتا طويلا في العمل، على كل حال، فلا هو ولا نيوت ينبغي ان يرهقا نفسيهما خصوصا في عصر هذا اليوم، وهكذا نادى بالتوقف عن العمل، ثم أرسل التوأمين لإسراج حصانين، وهمس ببعض التعليمات لنيوت، ما ان ذهب هذا اليهما، حتى توجه ليون نحو كاسي.

اخرج منديلا قدمه اليها، فأخذته صامتة لتمسح به وجهها وهي تشهق بالبكاء:«لم اقصد ان اكلفك كل هذه النفقات يا ليون. اقسم على ذلك. صدقني.»

اومأ قائلا:«انني اعلم هذا، يا كاسي، ولكنني فكرت في الأمر كثيرا، هذا إلى ان الأمر انجز وانتهى ولا فائدة من البكاء.»

تنهدت ثم قالت بهدوء:«لا استطيع منع نفسي من التفكير بأنك في اعماقك لن تصفح عني ابدا.»
اومأ برأسه قائلا:«كاسي، الأمر لا يتعلق بالصفح، وإنما بأمور ليست كما كنت اظنها.»
سألته وقد ضاقت عيناها كأنما تريد ان ترى ما بداخل نفسه:«ماذا تعني؟»
كاد ان يخبرها بأنه يريدها ان تحبه كما كانت تحب جوزيف، لكن ذلك بدا له نوعا من الحقد التافه، فهز رأسه قائلا:«فلندع هذا. المهم هو ما نفعله الآن، يا كاسي، وأنا لن اتحدث عن إضافة بناء الى البيت. انني اتحدث عني وعنك.»
رددت تقول بغباء:«عني وعنك؟»
اخفض نظراته نحو يديها، كانتا ترتجفان، فعاد ينظر الى وجهها قائلا:«اظن بإمكاننا ان نضع حلا نهائيا للأمور بيننا، ان علينا ان نؤسس بيتا حقيقيا للأولاد، على كل حال.»
رددت كلمته بعنف:«علينا؟»
نظر إليها، نظر إليها حقا وذلك لأول مرة منذ زمن طويل، ثم قال برقة:«كاسي، هل لك ان تمضي وقتا معي، هناك في المزرعة تحت النجوم؟»
تدفقت من عينيها دموع جديدة، وأخذت ترتجف، اخيرا اومأت برأسها، وعندما اغمض عينيه وفتح كفه، وضعت كفها فيها.

الفصل العاشر

حدثها بحكايات عن غرب اميركا بهدوء غريب بدا وكأن ليس له صلة مطلقا بذلك الدوار وتلك الرجفة اللتين تشعر بهما، اخذ يتحدث وهما ممتطيان جواديهما عن الهنود الحمر وذكر بعض الاسماء المشهورة وكثيرة وغيرها لم تسمع بها من قبل. استمعت كاسي إليه باهتمام، لكن ذهنها كان من الانشغال بحيث لم يسمح لها بإلقاء أي اسئلة.
لقد كان قرر امرا، كان ذلك ظاهرا، لقد قرر ان يبقيها في مزرعته وكذلك المتاعب التي احضرتها إليه من غرب فرجينيا، فماذا غير ذلك يجعله ينفق النقود التي كان وفرها لشراء الارض على البناء؟
مشيا بين الاشجار وشقا طريقهما في ممر صخري ضيق الى حيث كانا اقاما خيمة في بقعة رملية وذلك بين صخرتين ضخمتين، كان جمال المنظر لا يصدق والشفق يسبغ اشعته الوردية على الكائنات.
ثم ذهب ليجمع حجارة صغيرة ليصنع بها موقداً، بينما قامت كاسي بمهمة جمع ما أمكنها من مواد صالحة للاشتعال، كما ان ليون عاد بكومة من مختلف الاشياء لهذا الغرض.
قال:«سأحضر الوقود، لكنك انت من ستشعل النار. اما اعداد العشاء فهي مهمتي.»

كان في هذا راحة لها من مسؤولية اعداد العشاء في الخيمة، ومن انشغال بالها من ناحيته. سارت الى صخرة بعيدة مشرفة، ثم اخذت تنظر الى اشعة الشمس وهي تخف في زرقة السماء، لتتحول الى اللون القرمزي. شعرت بالبرد، وسمعت صوت حركة تحت الصخرة التي كانت تجلس عليها، وعند ذلك نادى ليون بأن العشاء جاهز، فنهضت عائدة الى المخيم.

وإذ نهضت عن الصخرة، انزلقت قدمها الى داخل فجوة في الرمال، فصرخت، وسرعان ما كان ليون بجانبها يساعدها على استعادة توازنها. قالت وهي ترتجف:«سمعت شيئا هنا أسفل وذلك منذ دقيقة.»

نظر في الفجوة والتي كانت اتسعت بقدمها، وقال:«ربما كان ثعلبا، فهنا توجد ثعالب رمادية اللون. لقد جربت تربية بعض الدجاج هنا فكانت تأكلها الثعالب، لا شيء يدعو الى الخوف.»

اومأت وسمحت له بأن يقودها الى نار الخيمة، كان قد اعد وليمة جيدة. حساء خضار معلبا ولحما مشويا وشطائر جبن. جلست شاعرة بالدفء بالرغم من الهواء البارد. وعندما أنهيا العشاء، اخرج الجوادين الى حيث مأواهما، ثم عاد الى جانب النيران، قائلا:«حسنا، اظننا تجنبنا ذلك قدر إمكاننا.»

لم تتظاهر بعدم الفهم، وأجابت:«ما الذي كنت تريد قوله، يا ليون؟»

فكر لحظة ثم هز كتفيه:«اظن انه علينا ان نجد حلا لهذا الزواج، ليس سرا انني كنت... اظن ان كرامتي اصيبت بجرح بالغ عندما اكتشفت السبب في زواجك مني.»

«انني آسفة، يا ليون، فالأمر لم يكن كما بدا لك، كما تعلم، انني اردت فعلا ان اقيم بيتا للأولاد، ولكن هذا لم يكن السبب الوحيد الذي تزوجتك لأجله.»

«أصحيح؟»

«صدقني، فأنا لم استطع ان اصدق حظي، فقد رأيتك متسامحا اكثر مما كنت ارجو ان اجد، لقد تملكني الفرح والسرور للزواج منك.»

قال بلهجة ذات معنى:«اظن ذلك لأنني شاب دمث، من دون شك.»

قالت له بإخلاص:«انك فعلاً كذلك.»

«نعم، ولكنك كنت تزوجتني ايضا لو انني كنت رجلاً كثير التذمر ومتطلب، طالما رضيت بحضانة أولئك الغلمان، أليس كذلك؟»

لم تجب. تنهد وألقى بخشبة في النار:«اجيبيني عن سؤال واحد، يا كاسي، هل كان كل ما بيني وبينك ادعاءً وزيفا؟»

«كلا، انك تعلم انه لم يكن كذلك.»

«هل انا اعلم ذلك حقا؟»

سألته:«وكيف يمكنك ان تشك في ذلك؟ كان ما بيننا صادقا، بالنسبة إليّ على الأقل.»

www.elromancia.com

اسند ظهره وأخذ ينظر الى السماء، وعندما تكلم جاء صوته هادئا بطيئا:«إذا كان هو الأمر، فأنت لم تمانعي في العودة إليّ مجددا؟»

همست وقد بلغ التأثر بها حد البكاء:«كلا.» لقد علم اخيرا مبلغ صدقها، سيمكنهما اخيرا ان يعودا زوجا وزوجة كما كانا في البداية، وتابعت تقول:«كيف بإمكاني ان أمانع؟»

فقال:«هذا ممتاز.»

منذ الوقت الذي تركت فيه غرب فرجينيا، كانت قد قررت ان تبادل جميع الواجبات الزوجية، بالحياة الآمنة لها وللأولاد.

إن بإمكانها ان تتظاهر بأن كل شيء قد عاد كما كان قبلا، كانت تريد ان تكون زوجة صالحة، لكن الدموع تدفقت من بين أجفانها المطبقة لتنهمر على وجنتيها.

نهض بسرعة وقد احنى رأسه باشمئزاز:«آه، انك لا تطيقين التكلم معي.»

صرخت:«ليس الأمر كما تظن.» لكنه كان يسرع مبتعدا. «ليون، ارجوك.» فوقف وكأنه هم بالعودة، لكنه عاد فتابع سيره وسرعان ما ابتلعه الظلام، فانهارت جالسة على الرمال، ثم عقدت ذراعيها حول ركبتيها، وأخذت تبكي فترة طويلة، كانت الدموع تنهمر بصمت على وجهها، وأخذت تصرخ وترتجف عندما انطفأت النيران، ثم تكومت في

كيس النوم لكي تستسلم اخيراً الى الرقاد.

عندما استيقظت كانت اشعة الشمس تطلي السماء بلون الذهب، لكن ما ايقظها من احلامها المتعبة، لم تكن الشمس، وإنما البرد القارس، تكومت في كيسها ثم مالت على جنبها كان ليون مديرا ظهره إليها، غارقا في كيس نومه حتى أذنيه، وبجانبه عصا طويلة ذات لون مزيج من الرمادي والذهبي، ثم اذا بالعصا تتحرك، متموجة بخفة متناهية ثم تجمعت على نفسها، إنها افعى...

دون وعي منها، جلست وكان بإمكانها ان تنهض لو لم يعقها كيس النوم، التفت الأفعى بشكل حلزوني، ثم اخذت بالفحيح بنعومة في البداية، ثم بصوت أعلى، انتظرت كاسي وقد شلها الخوف، حركة الافعى التالية. اخذ الرأس البشع المسطح يتحرك من جهة لأخرى. كان كيس النوم قد سقط الى خصرها، لكنها لم تجرؤ على تعديله للحصول على حماية اكثر. ارادت ان تخبىء يديها. ولكنها تسمّرت لا تستطيع الحراك. بعد ما بدا لها دهرا، اخفضت الأفعى رأسها وسارت ليس نحوها بل نحو ليون. تملكها الرعب، ولكنها بقيت متجمدة، تسلقت الافعى ظهر ليون إنشا بعد إنش، لو انه استيقظ وتحرك... لم تستطع ان تتحمل هذه الفكرة، فكرت في ما بإمكانها ان تفعل، فلم تجد سوى حل واحد لن يعرّض ليون لخطر كبير. وعندما وصلت الأفعى

الى حيث كتف ليون، ارتفع رأسها مبتعداً عن جسمه. بادرت كاسي الى العمل وقد توقفت عن كل تفكير. عندما اطبقت يدها على جسم الافعى تحت الرأس مباشرة، تعالى صراخها وقد اقشعر جسمها من ملامستها انما عالمة بأنها إذا اطلقتها فستلدغ واحداً منهما او هما الاثنين.

قفز ليون وقد التهبت عيناه، مندهشاً لما يراه، كانت تقبض على الأفعى قبضة الموت بينما ترتجف من الرأس الى القدم ولكنها لا تجرؤ على تخفيف قبضتها، وأخذ هو يكافح للتخلص من كيس النوم، عند ذلك اخذت الأفعى تتلوى بعنف.

صرخ:«إياك ان تتحركي.» حاول التفكير بخوف، والتفت الأفعى على ذراعها، صرخت مرة اخرى وسقطت الى الخلف لكنها ما زالت محكمة قبضتها، مد ليون يديه إليها، لكنه عاد فتراجع وهو يقول مهدئا:«لا بأس عليك، اسمعي، طالما انت تشدين قبضتك عليها، فهي لن تلدغك، والآن... الآن...» نظر حوله، ثم بدا وكأنه وصل الى حل:«اسمعي ما سنفعله. اننا سنقذفها من فوق حافة الجبل.»

«وكيف؟»

تقدم منها ببطء:«انني سأساعدك في الصعود، ثم نسير معا الى تلك الصخرة المسطحة هناك، وعندما نصل الى الحافة سأسحبها من يدك ثم نلقيها معا من فوق الحافة تلك. هل فهمت؟»

اومأت وهي مسمرة العينين بالأفعى غير سامحة لها بأن تحرك رأسها ولو جزئيا، تحرك ليون الى جانبها ببطء بالغ ثم وضع يده على ذراعها. فتحت الافعى شدقيها على اتساعهما ثم فحّت مبدية انيابها. لكن كاسي شدت قبضتها عليها. وحملها ليون رافسا بقدمه كيس نومها المتعلق بها ثم ركضا معا نحو الصخرة المسطحة الى ان وصلا الى الحافة وأخذت كاسي تشهق رغم ان عينيها كانتا جافتين وهو ينزع جسم الافعى من حول ذراعها.

قال وهو ينظر في عينيها بينما كانت الافعى تتلوى ويتصاعد فحيحها:«سأعد ثلاثة، واحد، اثنان، ثلاثة.»

دفعت بالأفعى الكريهة بعيداً عنها، ثم فتحت قبضتها وألقت بنفسها الى الخلف. لكن يدي ليون كانتا قد امسكتا يدها، هبطا معا متدافعين من فوق الصخرة مبتعدين وتعثرا فوق رماد نيرانهما قبل ان ينهضا، ثم سألها:«هل انت بخير؟»

هتفت ودموع الارتياح تنهمر من عينيها:«لقد كادت تلدغك.»

«تلدغني انا؟ وماذا عنك انت؟ وكيف تمكنت من القبض عليها بذلك الشكل؟»

اخذت تشرح له الأمر وهي تتلعثم بالكلمات بينما كان هو يتفحص كفيها. ثم قال وصوته يرتجف:«كان عليك ان تدعيها تلدغني، فضررها عليّ اسهل من

النوبة القلبية التي سببتها انت لي عندما رأيتك تمسكين بتلك الافعى.»

همست:«لم استطع... فقط لم استطع.»

«لا ادري ما كنت سأفعل لو كان حدث لك شيء.»

قالت:«هذا بالضبط ما كنت افكر فيه عنك.»

«اننا بخير نحن الاثنين، اشكرك كثيراً.»

«ولك انت.»

قهقه ضاحكاً:«لا بأس، اننا بطلان نحن الاثنين، والآن فلنخرج من هنا، انني لا اشعر بشهية لتناول الفطور.»

«ولا انا، اريد فقط ان اغسل يديّ»

«هه... لا أدري لماذا، فأنت لم تفعلي سوى مصارعة افعى سامة.»

ضحكت لكلامه، بينما ابتسم هو، وتنهدت شاعرة بهدوء رائع، أسرع في توضيب الخيمة وأخذت تساعده متلهفة للذهاب الى البيت، لم يكونا قد وصلا الى حل في أمرهما، لكن ذلك ولأمر ما لم يعد ذا أهمية. لم تكن تريد التخلي عنه، فقد صارعت أفعى لأجله، فهي تستحق الشنق إذا ما تركته يذهب بعد ذلك، انها ستكسب قلبه بأي شكل كان.

أخذ ليون يتفحص حاجياتهما بحذر، خوفاً من أفاع اخرى، لا يريد ان يخبر كاسي انه من الممكن جداً انهما نصبا خيمتهما بجانب وكر للأفاعي. فذلك الصوت الذي كانت سمعته تحت الصخرة الليلة

الماضية، قد أرعبه. هل تراه تسرّع في التفكير في ان لا ضرر من ذلك؟ لو كان هذا فعلاً، لكلفه ثمناً فادحاً، كان يمكن ان يكلفه حياة كاسي، ولم يستطع حتى التفكير في ذلك، انه لا يريد سوى ان يخرجها من هذا المكان بسرعة وأمان، فقد اضطربت امورهما معاً، على كل حال.

لم يعرف السبب في بكائها، وهو الذي ترك المنزل وابتعد عنها بعد ان لم يعد يستطيع احتمال فكرة انها كانت تزوجته لمجرد دفع الثمن وعرفان الجميل لأخذه الأولاد. دفع الثمن؟

حمل الامتعة، ثم اصطحبها الى حيث سرجا الجوادين، راغباً في ان يبعدها عن هذا المكان قدر الإمكان، وطوال الوقت كان يعيد في ذهنه ليس فقط ما كان يحدث معهما الآن، ولكن اشياء كثيرة اخرى، مثل مبلغ شكرها له في البداية... تذكر كيف كانت تنظر إليه بعينين متألقتين وابتسامة من الأعماق وكيف كانت تهمس له بأنها تحبه. أهذا ممكن، أم هي مجرد أفكار وتمنيات؟

اخذ هذا السؤال يجول في ذهنه وهما ينطلقان في طريقهما، لقد تزوجته، دون شك، بنية تحميله عبء هؤلاء الأولاد منذ البداية، لقد كانت مستميتة للقيام بذلك، حتى ولو أثار هو استخفافها، لكنها لم تستخف به، لو كان ذلك لما مدّت يدها تقبض على الأفعى كيلا تلدغه، انه في الواقع ما كان ليفكر

على ان بإمكانها فعل ذلك مهما كانت الظروف. انها شجاعة لا شك في ذلك، ولكن هل الى الحد الذي تقدم فيه على عمل كهذا؟ ربما كان ذلك لو توفر لها الوقت لأن تفعله تدريجيا، اما ان تندفع على الفور بذلك الشكل...؟ لم يستطع ان يعرف بماذا يفكر سوى انها قبضت على تلك الأفعى بدلا من ان تدعها تلدغه، وانها ما كانت لتشيح بوجهها عنه، او تمنحه تلك الابتسامة الزائفة او تبكي لو كانت تظن او تعلم بأنه يحبها. عندما اخذ يفكر في ذلك، لم يتأكد من انه سبق وقال لها ذلك يوما ما. ربما لو كان فعل، لاختلفت الأمور الآن. لم يكن قد وصل بعد الى حل حاسم عندما رفعت كاسي يدها مشيرة نحو الشرق، وهي تقول:«اظن لدينا ضيوف.»

كانوا قد اصبحوا في منتصف الطريق ما لم يجد معه صعوبة في رؤية سحابة من الغبار تتنقل على طول الطريق نحو بيته، او يميز السيارة التي تثيرها، ديل... كان القادم ديل شقيقه... وربما والديه ايضا، اغمض عينيه، لم يكن ثمة من مجال لديه للوصول الى المنزل قبل ديل. ارتجف وهو يفكر في نوع القصة التي سيحصل عليها ديل من الغلمان. حسنا، ليس عليه أن يلوم سوى نفسه، كان عليه ان يبلغهم الخبر بطريقته الخاصة، وذلك منذ وقت طويل، لكنه تغاضى عن الأمر بدلا من ان يعالجه، ويا لها من طريقة يعالج بها رجل أموره. نظر الى كاسي ثم هز

رأسه معتذراً وهو يقول:«حيّتان في صباح واحد.»

حدقت إليه تقول:«ما الذي تتحدث عنه؟»

فتنهد قائلا:«ذاك هو شقيقي.»

«حسنا، علينا ان نسرع إذن لمقابلته.»

اومأ برأسه متجهما، ثم سألها:«ايمكنك الاسراع على ظهر الجواد؟»

ابتسمت له:«ماذا تقول؟ ألست انا الفتاة التي انقذت الثور، وصارعت الافعى السامة، هل نسيت؟»

اومأ برأسه ضاحكا، ثم انطلق مسرعا وكاسي في أثره، كان كل ما يرجوه هو ان تجعل ديل يرتاح لوجودهم، لأن من غير المحتمل ان يكون المشهد جميلا عندما يعرف شقيقه بكل شيء.»

وصلا الى فناء المنزل، شعر ليون بالارتياح وهو يرى والدته واقفة قرب الباب، لأن ديل سيكون عليه، على الاقل إن يضبط اعصابه في وجودها، كان رأسها منحنيا وهي تستمع الى شيء كان فريدي يقوله لها، فريدي، آه، لا يمكن ان يكون الأمر سيئا، فقد كانت تضحك ويدها على فمها، عند ذلك وقع نظره على ديل وهو يسير بخطوات واسعة عند جانب المنزل وبارت الى جانبه يريه البناء الحديث دون شك. كان والده هناك ايضا، على الشرفة مع التوأمين، فقط نيوت وبيتر لم يكونا موجودين، لكنهما لم يتأخرا طويلا، إذ خرجا من البيت، وكان نيوت يحمل بيتر وذلك في نفس الوقت الذي ترجل فيه ليون عن صهوة حصانه.

تقدم يساعد كاسي على النزول، ثم نادى التوأمين لكي يتقدما ويأخذا الجوادين، فأطاعا هذان دون تذمر كعادتهما. لاحظ ليون انهما رمقاه بنظرات مرتبكة وهما يبتعدان بالجوادين، لكن لم يكن لديه وقت للتفكير في ما قد يعني ذلك، فقد كانت تنتظره عاصفة عليه ان يقاومها إذا امكنه ذلك، وهو لن يقوم بذلك في معرض الدفاع، الافضل ان يظهر كل شيء بشكل رائع ممتاز.

نادى مرحبا وهو يتجه نحو المنزل:«مرحباً، كان عليكم ان تخبرونا بقدومكم، لننتظركم هنا للترحيب بكم.»

قال والده وهو يتقدم للقائه:«لقد خابركم ديل هاتفياً الليلة الماضية في الواقع.»

كان نيوت واقفا بجانب ليون فقال له معتذراً:«لقد أجاب التوأمان على الهاتف، لأنني كنت اغسل المواشي.»

فهم ليون السبب الذي جعل أهله يأتون لزيارته قبل طلوع النهار، إذ لا شك ان التوأمين قد تفوّها بكل ما عندهما، مجيبين ديل على كل اسئلته بكل صدق، إلا إذا كانا فكرا بشيء اسوأ. شعر بكاسي تتقدم لتقف الى جانبه، لم يكن هناك سوى شيء واحد للعمل:«والدتي، والدي، اقدم إليكما كاسي... زوجتي.»

لم تبد الدهشة على أي منهما، وأومأت كاسي

بالتحية:«انني سعيدة بمقابلتكما، ياسيدتي وياسيدي.»

نظرت الوالدة الى الوالد، فقال:«حسناً، انها فتاة مؤدبة، ما كنا لنتوقع أقل من ذلك بالنسبة لهذه الظروف.»

شعر ليون بكاسي تجمد في مكانها، فألقى عليها نظرة، ثم قال:«كان علينا ان نتصل بكم ولكن... لقد انشغلنا كثيراً بالأولاد وكل ذلك.» كان هذا القول منه خطأ كبيراً.

قالت والدته برقة:«لقد لاحظنا بيتك ممتلئاً.»

قالت كاسي بسرعة:«انهم اشقائي، ما عدا الأصغر، فهو بيتر ابني.»

قال الوالد:«يا لها من أسرة جاهزة.»

كان ديل قد جاء ليقف معهم، فقال:«نعم، يا أبي، انها فرقة تامة.» كان يشبه ليون كثيراً إنما يزيده وزناً بعدة كيلو غرامات، وكانت عدة شعيرات بيضاء تلتمع في صدغيه. تابع قائلا:«ان هذا التصرف هو اسوأ ما قمت به في حياتك.»

قال ليون:«اسمع يا ديل، لقد كنا اتفقنا على خصوصية كل واحد منا، وذلك عندما اشتريت انا هذا المكان...»

«كان عليك ان تبقى في البيت.»

«ان هذا هو بيتي، وفارغان هو بيتك انت، وهذا هو المناسب حيث انك الاكبر فينا. ان بارادايس هي...»

قال ديل:«مجموعة رمال وصخور، لم يطلب منك احد ان تترك فارغان لأجل هذه.»

«انني اعرف هذا، لكنني كنت اريد ان يكون لي بيت مستقل، وقد حصلت على ذلك، وهو مكان رائع مهما كان رأيك فيه.»

«اظنك فقدت عقلك إذاحمّلت نفسك مسؤولية مجموعة غلمان وامرأة تعرفت إليها من خلال اعلان في مجلة، ما الذي حدث لك؟ هل فقدت عقلك؟ ان اعلانك بطلب زوجة يماثل في الحماقة انتقالك الى هنا في وسط...»

«لا تتكلم معه بهذا الشكل.»

لم يعرف ليون من كان اكثر دهشة، هو أم ديل، فقد كانت كاسي تقف امامه وقد تكورت يداها بقبضتين صغيرتين... نفس اليدين اللتين كانتا قبضتا على أفعى لكي تحميه، نظر اليها وأدرك فجأة انها على استعداد لمحاربة أي كان لأجله. وليس هناك سوى سبب واحد لذلك.

مد يده ليمسك بيد زوجته، ولكن هزت رأسها وهي تخطو الى الأمام مركزة انظارها على ديل مكررة قولها:«اياك ان تتكلم معه بهذا الشكل مرة اخرى، انك لا تصلح لمسح حذائه، فكيف بتحطيمه؟»

«كاسي...»

لكنها تجاهلته متابعة كلامها لشقيقه:«انني لن اصبر على هذا، هل سمعت؟ انه الأروع والأكرم... ولم يكن

هذا ذنبه مطلقاً... انه لم يكن يعلم بأن زوجته لن تكون وحدها، ولكن هذا هو ليون من بين الرجال كلها.»

وضع ليون يده على يدها يديرها إليه قائلا:«كاسي...»

لكنها التفتت تحملق في ديل الذي وقف ذاهلاً، وهي تتابع متسائلة:«هل كنت ستمنح هؤلاء الغلمان بيتا، لو كنت مكانه؟ لا اظن ذلك. بل ستخبرني كم انا شريرة إذ احملك هذا العبء، اما ان ليس لديهم بيت يضمهم، ولا مكان يذهبون إليه... فهذا غير مهم...»

«كاسي.»

صرخت:«حسناً، ما كان له ان يقول لك مثل هذا الكلام بينما...»

«كاسي، انني احبك.»

«ولكنك حاولت ان تفعل الافضل لكل شخص، فأنفقت نقودك التي كنت وفرتها لشراء ارض جديدة، ورقدت في...»

تنحنح الوالد، بينما اخذ بيتر يثرثر ضاحكاً، وكان نيوت ينظر بغباء، كما كان التوأمان ينظران. قال ديل متذمرا:«من بين كل الأمور...»

قالت والدته وكاسي في نفس الوقت:«اقفل فمك، يا ديل!» ثم نظرت الواحدة منهما الى الاخرى بدهشة، وأخذ ليون يضحك، لكنه تمالك نفسه بسرعة

ليقول:«نيوت، لماذا لا تأخذ الاولاد الى الداخل و... تطعمهم او تشغلهم بأي شيء.»

قالت الوالدة بهدوء:«سأجهز انا الإفطار وبعد ذلك يمكننا ان نمضي زيارة ممتعة، ثم ننظر في المساعدة لبناء الغرفة الإضافية هذه.»

ألقت على ابنها الأكبر نظرة معاتبة ارتبك هو لها، ثم تمتم يقول:«حسنا، بكل تأكيد فأنا لم اقصد القول اننا لن نساعد في ذلك.»

قال الوالد:«وما فائدة العائلة إذن؟»

قال ليون:«شكرا، إذا لم يكن لديك من مانع... فأنا اريد ان اقول كلمة لزوجتي... في المخزن، اعتبروا انفسكم في بيتكم، وسنعود بسرعة وأنتم ايها الغلمان، ليكن تصرفكم جيدا.»

قالت الوالدة:«سيكونون على ما يرام، وسأهتم انا بذلك، اما انتما فخذا وقتكما.»

ألقى ليون على والدته نظرة شاكرة تعبر عن السرور وعرفان الجميل، ابتسمت له والدته، ثم اصطحبت ديل الى الباب.

قال لها:«ما الذي يجري هنا؟ ان تلك المرأة...»

قاطعته والدته برزانة:«انها تقدره، وهذا هو المهم.»

اخذ ليون زوجته كاسي الى المخزن متلهفا ليقول لها كل ما كان عليه ان يقوله منذ البداية.

عندما سارت معه قالت له:«لا أدري ما الذي دهاني، لقد أصبت فجأة بالجنون.»

ابتسم وهو يقول:«هذا غير مهم، انني اريد فقط ان اخبرك بشيء مرة اخرى، وأريد ان اتأكد من انك تسمعينني.»

«وما هو؟»

كانا قد وصلا الى المخزن، فأدخلها ثم استدار اليها يقول:«ما اريد قوله فقط هو انني كنت أحمق للغاية. انني احبك، يا كاسي، و انا اعرف...»

«ليون، آه، يا ليون، كيف لا احبك وأنت اروع رجل عرفته؟»

قال شاعراً بأن قلبه قد كبر وكبر الى حد أذهله:«أروع رجل؟ حتى أروع من جوزيف؟»

«من جوزيف؟ لا أدري، فأنا لم امضِ معه ما يكفي من الوقت لأعرف ذلك، او ربما كنتَ اصغر من ان اعرف. كل ما اعرفه انه، برغم انه كان طيبا للغاية، إلا انه لم يجعلني اشعر كما جعلتني انت، وهو انني افضل الموت إذا انت لم تكن راضيا عني.»

«آه يا كاسي، هذا ما اشعر انا به نحوك.»

قالت:«كان ما حدث ذنبي انا، فقد كنت اقصد القيام باتفاقية معك عندما اتأكد من اننا متلائمان، وهو انني سأتزوجك وذلك مقابل إعالتنا في منزلك. لكنني عندما جئت الى هنا رأيتك اروع كثيرا مما كنت اتوقع، فابتدأت اعجب بك. عندٍ ذلك شعرت بالخوف من ان اخبرك عن الاولاد خوفا من ان تبتعد وتهرب مني. فقد احببت من قلبي ولم اعرف كيف ابرهن لك

عن حبي حتى بعد وصول الاولاد، وطريقة معاملتك لهم زادت من حبي لك.»

«كاسي احببتك من الاسبوع الاول لوصولك وبقيت على حبي لك مع مرور الايام وما زاد تعلقي بك إلا عندما عرفت مقدار حبك واهتمامك بالاولاد كما وانك فضلتيهم على نفسك. اذا كنت تعاملين اشقائك هكذا، فكيف بأولادنا. احبك كاسي وأريد انجاب الاطفال منك، اريد ان يزيد عددنا لنملأ المزرعة والارض بأصواتنا. اريد ان يكون لدي اسرة كبيرة جدا جدا جدا.»

«أحبك ليون وأحب اهتمامك كما احب اسرتك.»

ضمها الى صدره بعطف وغابا بعناق حار، ابعدهما عن الاصوات الصادرة من المنزل ونسي كل افراد العائلة.

انتهت